مختصر تاريخ الاباضية

بقلم

العلامة الجليل القاضي العادل

الشيخ ابي الربيع سليمان الباروني

العضو بالمحكمة الشرعية العليا بطرابلس الغرب

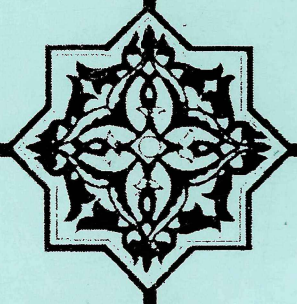

مختصر تاريخ الاباضية

بقلم

العلامة الجليل القاضي العادل

الشيخ ابي الربيع سليمان الباروني

العضو بالمحكمة الشرعية العليا بطرابلس الغرب

نشر (مكتبة الاستقامة)

لصاحبها :

محمد بن الحاج صالح الثمني

بسوق العطارين عدد ٣٧

بتونس

١٣٥٧ - ١٩٣٨

طبع بمطبعة « الارادة » ـ تونس

بسم الله الرحمن الرحيم

« خطبة الكتاب »

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله . والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير من اختاره لرسالته واجتباه وعلى اله وصحبه وتابعيهم وكل من جاء بعده واهتدى بهداه . اما بعد فهذا كتيب جمعت فيه ما لا بد من معرفته لكل فاضل يحترم نفسه ولا يرضى لها الجهل بحال من الاحوال فكيف بقسم مهم من اقسام التاريخ الاسلامي المجيد : الا وهو التاريخ الاباضي . لذلك فاني اقدمه بمقدمته لاولئك التواقين الى الوقوف على كل مجهول والله ارجو ان يضعه من نفوسهم موضع الرضى والقبول ويملأ افئدتنا واياهم بالانصاف ومحبة الرسول صلى الله عليه وسلم ومجد وكرم والحمد لله رب العالمين.

مقدمة الكتاب

دعاني الى وضع هذا المختصر من تاريخ الاباضية وتذييله ببيان بعض المسائل الخلافية جملة اسباب منها ان كثيرا من الناس يجهل هذا المذهب جهلا تاما مع ما عليه اهله من العظمة التاريخية الخالدة . والبعض قد يعلم شيئا عنه ولكن يعده جهلا في جملة الخوارج (الازارقة والنجدية والصفرية) المارقين عن الاسلام بغلوهم في الدين وشططهم البعيد عن جادة الصواب كاباحتهم اموال الموحدين ودماءهم وسبي نسائهم واطفالهم وابطالهم الامامة العظمى ولو توفرت شروطها .

والاباضية يبرءون من هذا كله فيوجبون الامامة العظمى ويحرمون اموال الموحدين وسبي نسائهم واطفالهم مطلقا . وكذلك دماؤهم حرام الا ما استثناه جميع الفقهاء والائمة (الزنا بعد الاحصان والردة بعد الايمان وقتل النفس بالظلم والعدوان الخ) فيجب حينئذ العلم ويجب التمييز بين هؤلاء الظالمين وبين الاباضية الذين هم اعدل الطوائف الاسلامية اذ لا افراط في معتقدهم ولا تفريط . وهكذا نرى البعض يعتبرهم معتزلة قدرية وهذا باطل ايضا لان بين الفريقين خلافا كبيرا . اهمه مسالة القضا والقدر وخلق افعال العبد فان الاباضية كالاشعرية فيهذا الباب لا يقولون بخلق العبد لافعاله ولا هو مجبور عليها .

وان من شيء في الكون الا وهو مخلوق لله وليس للعبد فيه الا الكسب والاختيار . فهم ليسوا من هؤلاء ولا من المرجية القائلين بان الانسان اذا قال

لا اله الا الله دخل الجنة وكفته هذه الجملة عن جميع التكاليف المفصلة في الشريعة . وعلى ذكر المعتزلة اقص عليك حكاية غريبة سطرت في كتاب مشهور من كتب الفقه المالكي وهو « حاشية العدوي على الخرشي صحيفة ١٧٦ من الجزء الخامس » وقفت عليها حال مراجعتي بعض مسائل الشهادات . بعد ان ذكر المؤلف شهادات المبتدع كالقدري والخارجي تقبل او لا تقبل الخ. قال اخبرني من يوثق به انه مات بالسودان رجل من المعتزلة الساكنين بجزيرة جربة . فوجدوا راسه تحول الى راس حمار . ثم تحصن بالله من غضبه وتعوذ به من الشيطان الرجيم . انظر بالله الى عالم فقيه كيف تجرأ على تشويه كتابه بتسطير مثل هذه الحكاية الواهية بين دفتيه وقد صدقها بمجرد قول قيل له بدون ان يمحصها تمحيصا عقليا يقبله المنطق الصحيح . وبدون ان يتنبه الى انه فقيه من الفقهاء الذين يجب ان لا يجهلوا ان المسخ مرفوع عن امة محمد اكراما له صلى الله عليه وسلم وتمييزا . والظاهر ان الشيخ المؤلف ممن لا يفرق بين المعتزلة والاباضية . فكل من عدا الاشعرية هو معتزلي في نظره ونظر فريق من العلماء الجامدين على معرفة مذهب بعينه لا يعرفون سواه الا بالاسم وبالسماع . والواقع ان سكان جزيرة جربة ـ التابعة لتونس ـ اغلبهم اباضية ونحو الربع او الخمس مالكية وهم على افضل ما يرام من جهة حسن الجوار والاتفاق على خدمة المصالح المشتركة ومبادلة ما في جزيرتهم من المنافع . وتراهم اشد الناس عطفا على بعضهم بعض في الغربة وهم مشهورون بها في سبيل الرفه والغنى لا تجد احدا منهم لم يبرح الجزيرة الا نادرا .

ومنها اني اريد من كل قلبي ان يزول الخلاف من بين المسلمين بتاتا او يتلطف ويخف . او يبقى ولكن لا يكون مجهولا على الاقل فيجسمه

الجهل ويزيده قبحا وبشاعة . وهو كما تعلم دائما الحاجز الحصين بين الحقيقة والانسان في كل شيء من هذه الحياة . وانه لمن المؤلم ان اقول اني جالست كثيرا من العلماء المشهورين والادباء المعروفين وقد يصادف ان يكون موضوع حديثهم الفقه مثلا . فتراهم يتحاورون البحث ولكنه لا يدور الا حول اقوال ائمة المذاهب الاربعة . ولا يذكرون المعتزلة الا في امهات علم الكلام ولا يجري على السنتهم ذكر المذهب الاباضي مطلقا . وكثيرا ما اقول لهم وعند الاباضية كذا وكذا . الفاتا لنظرهم بلطف وادب الى لزوم اعتبار اقواله من الفقه الاسلامي ولو مجاملة . وقد يجاوبك احدهم بما لا يفسر الا بالمجاراة السطحية . ان تكرر الحال على هذا المنوال بالرغم عن التعريض بنحو ما تقدم يدلنا دلالة لا تدع مجالا للشك على ان القوم لا يخلو حالهم . اما ان يكونوا على جهل تام بهذا المذهب بحيث يجدون انفسهم مجبورين على التجنب والتقصر من البحث في اقواله. والجهل عيب غير مغفور خصوصا بالنسبة للطبقة البارزة في الامة . واما ان يكون ذلك ناشئا عما تمركز في نفوسهم من انه لا يوجد للمسلمين مذهب رسمي غير المذاهب الاربعة . وهذا ما جعلهم يقفون من غيرهم ذلك الموقف المشين وان كان فيه ما يحرج خاطر جليسهم من عدم احترامهم لمذهبه وقلة الاكتراث به . ومع ما فيه فهو اعتقاد لا يقرهم عليه كل مخالف للمذاهب الاربعة . انظر الى اي حد بلغ حال بعض المسلمين من التعصب المذهبي . ثم انقل النظر الى علماء الاباضية فانك تجدهم احسن حالا من هذه الجهة فانهم يعتبرون اقوال مخالفيهم من اهل القبلة كل الاعتبار ويسوقونها في تآليفهم ويأخذون منها ما يأخذون ويتركون ما يتركون وهي عمدة يعول عليها فيما لا يوجد قول لهم فيه كما قال الامام السالمي العماني :

وخذ بما قال اولو الخلاف ما لم تجد في كتب الاسلاف

وذلك في ارجوزته الفقهية المشتملة على نحو اربعة عشر الف بيت . وسواء ذلك في علم الفقه او الاصول او الكلام . فمن يقرا كتبهم يظهر منها عارفا بكثير مما قاله المالكية والشافعية والحنفية .

هذا ما عليه الاباضية ازاء اقوال مخالفيهم فاين ما ينسب اليهم من التعصب ومن احق من ينسب اليه هذا الوصف بعد ما رايت وسمعت . نعم ادعاء كونهم الفرقة الناجية وان لهم ادلة تثبت ذلك هو حق . الا ان هذا الادعاء ما من فرقة من الفرق الثلاثة والسبعين الاسلامية الا وتدعيه . والله سبحانه يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون . فلنقرا كل ما بين الفرق الاسلامية المهمة من الفروق لتالف نفوسنا ذلك وتستانس بالمرونة والتكرار بما هنالك فيهون ما كان مهولا وربما زال واضمحل بفضل المطالعة والانصاف . فتظهر النتيجة وضاحة الجبين ويصبحوا كلهم على مذهب واحد عملا واعتقادا . ولا شيء من الصعوبة في توحيد هذه الفرق متى كان رائد الكل طلب الحقيقة ومتى كان الفكر حرا مطلق العنان في البحث عنها لا يقيده التعصب ولا يزهده فيها ظرف الزمان وظرف المكان ولا يسيطر على النفس الا الوجدان وسلامة النية وطهارة القلب وحرية الضمير . فالحكمة ضالة المؤمن يلتقطها انى وجدها لا يعنيه اي وعاء خرجت منه ولا اي مكان ظفر بها فيه . اذا كان هذا هو معول عقلاء المسلمين فلست ارى بينهم وبين المطلوب الا عملا قليلا في تساهل يسير . ومن الواجب حينئذ ان تقرر دراسة التاريخ الاسلامي المجهول للتلاميذ كتاريخ الاباضية مثلا وغيره فيقفون على سيرة ائمتهم العادلين المغاربة والمشارقة كوقوفهم على سيرة الخلفاء الراشدين والملوك الامويين والعباسيين ومن بعدهم كالسلاجقة والايوبيين والفاطميين والعثمانيين وغيرهم من ملوك الاندلس والمغرب والمشرق فينشا

التلميذ ملما بجوانب كل التاريخ الاسلامي عالما بسير الملوك العادلين والجائرين فيقدر بفكره المستقل اولئك ويسر بما اتصفوا به من العدل والاحسان ويجهد نفسه بان يكون عادلا في اعماله متصفا بالفضيلة في جميع اطوار حياته ، وينقبض من هؤلاء وظلمهم ويمقت الجور ويزهد فيه ويتجنب كل نقيصة تشينه وتسوء بسمعته . وميزان العقل اذا اطلق من قيوده هو اعدل ميزان وحكمه اذا اخذ به على ضوء الايمان بالله هو اصدق حكم ودين الاسلام واحد وتاريخه العام هو مرءآته المنطبعة فيه صوره الصحيحة . فلمثل هذا فليدع الداعي وليعمل العامل .

ومنها . اني كنت جمعت قريبا من ثلث هذا الكتاب كرسالة . اجابة لرغبة فاضل كبير من علماء ايطاليا الاجلاء المعدود من رجالها الاداريين المعروف بعطفه الخاص على المسلمين في القطر الطرابلسي . ثم بعد وقت من ذلك رغب الي بعض الاصدقاء ان اضع كتيبا مفيدا مختصرا في نفس الموضوع فلم ار من باس في اجابته الى مارغب فحورت ما جمعته اولا واضفت اليه ما مست الحاجة الى اضافته ونسقته على الاسلوب الذي ستراه متوخيا الاختصار التام لان التطويل كما هو معلوم داعية الملل في الانسان لا سيما فيما لا ناقة له فيه ولا جمل حسبما يعتقد فاتى على النحو الذي يرغبه الكثير من الناس . اذ ما من احد الا وتلاحظ عليه انه يرغب في اول ما يرغب معرفته منك حياتك التاريخية ومعتقداتك الدينية وهذا ما سيستفيده القاري من هذا الكتاب فيما يختص بتاريخ الاباضية واعتقاداتهم ... هذا وانه لمن المروءة والاعتراف بالفضل لاهله ان نختم هذه المقدمة بالتنويه بشان كل من الاستاذ الكاتب الكبير احمد توفيق المدني والاستاذ الضليع عثمان الكعاك . اذ لم يغمطا حق الرستميين (وهم اباضية) بل نوها بشان دولتهم بالجزائر وممتلكاتها الواسعة وما كانت عليه من العمران والرقي والعدل الشامل الشبيه كل الشبه بعهد الخلفاء

الراشدين والاول قد زاد عن ذلك فاستطرد التعريف بالاباضية ومواطنهم اينما كانوا قديما وحديثا . وهو عمل يستحقان عليه الثناء الجزيل من جهتين جهة انصافهما لهؤلاء الناس وما لهم في التاريخ من ذكر واثر . وجهة التعريف بهم الى الجم الغفير ممن يجهل تاريخهم النقي الناصع الذي هو جزء متمم لعقد التاريخ الاسلامي الزاهر . وليس دونهم في استحقاق الحمد والشكر كل من الاستاذ السيد محب الدين الخطيب والاستاذ امين سعيد ومن على شاكلتهما من المنصفين الذين لا يكتمون الحق ولا يكابرون الوجدان فيتعمدون هضم الحقوق وطمس الحقائق (كبعضهم) وعسى الله ان يجعل هذه الجملة كالمهماز لفطن بعض الغافلين عن واجبهم التاريخي متى كتبوا فلا نعود نراهم يذكرون دويلات لم تعمر ثلث القرن ويصدفون عن ذكر دول تتباهى بمجدها وآثارها القرون . وفق الله الجميع لخير الدنيا والدين انه ولي التوفيق نعم المولى ونعم النصير .

الرسول الاعظم محمد

صلى الله عليه وسلم

ولد نبي الاسلام ورسول الله الى جميع الانام سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام سنة ٥٧١ م حسبما حققه العالم الفلكي محمود باشا المصري من ابوين كريمين كل منهما قرشي النسب الام وهي امنة بنت وهب من زهرة بن كلاب والاب (وهو عبد الله بن عبد المطلب) من بيت هاشم بن عبد مناف اشرف بيت في العرب وفي قريش . ونشأ عليه السلام تحت كفالة جده نشأة صالحة لم يعهد في الناشئين مثلها ـ الهاما من الله وتوفيقا وارهاصا لنبوته ـ وعاش يتيم الابوين : ولما بلغ من العمر خمسا وعشرين تزوج بالسيدة خديجة بنت خويلد القرشية وكان عمرها اذ ذاك اربعين سنة فبقي معاشرا لها احسن عشرة لم يتزوج غيرها قط الى ان ماتت رضي الله عنها بعد خمس وعشرين سنة من بنائه بها كانت فيها مثالا اعلى للوفاء ومكارم الاخلاق والقيام بجميع الحقوق الزوجية ومتعلقاتها . فتامل كيف انه عليه السلام لم تطمح نفسه الى غيرها من النساء الشابات الجميلات وهو في تلك السن التي فيها دم الشباب يفور ويثور ومن شانه ان يحمل اولي القوة والجمال الى الرغبة فيهن . ومن هنا تعلم ان زواجه بغيرها بعد ذلك لم يكن الا لحكم هامة عامة تصدى لبيانها وعلة مشروعيتها جماعة من كبار المحققين في هذا العصر . دفعا لشبهات طالما يذكرها المستشرقون وبعض النقاد المضللين . وقد اعلن رسالته على راس الاربعين ولم يذكره من العرب قبل ذلك احد بسوء ولا كانوا ينظرون اليه الا بعين الاجلال والاكبار نظرا لما اتصف به من الصفات الحميدة والفضائل الجمة

وفي طليعتها الصدق والامانة واللتين يشاهد الناس ءاثارهما في جميع اقواله واعماله حتى سموه الامين واصبح به يدعى من بينهم . ولما صدع بامر ربه وقام يدعو الى الله وتوحيده ويتلو عليهم بعض ما نزل عليه من القرءان تلك المعجزة الخالدة التي بهت امام بلاغتها الساحرة اولئك البلغاء المطبوعون وعجزوا عن ان ياتوا بسورة من مثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا . عند ذلك كذبوه ونعتوه بالسحر والجنون وبالغوا في الاذى الى حد لا يقوى على تحمله من لم يكن مؤيدا بقوة روحية فوق تصورات البشر . ومحال ان يصبر على ما صبر عليه من لم يكن ملحوظا بعناية الله محفوفا برعايته محوطا بسياج من قوة قدرته . دعاهم غير مكترث بعراقيلهم المتنوعة بيقين لا عهد لهم به وثبات لا مثيل له محتسبا لله ما يلاقي من العنت والتكذيب ودام على هذا المنوال امدا غير قصير. وقليل منهم من وفقه الله في هذا الاثناء فاسلموا على خوف عظيم مما يلحقهم من الاذى والارهاق فمنهم من اذن له في الهجرة الى الحبشة لذلك ومنهم من بقي بمكة محتسبا صابرا على ما لا يطاق مضضه ولا يقوى على تحمله الا من تمكن الايمان من قلبه واخلص النية لله وحده وهم الذين « اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم ءاياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون » كالصديق ومن على شاكلته من المهاجرين الصابرين في الباساء والضراء وحين الباس . ثم بعد البلاء الشديد الطويل العريض الذي لا يناسب هذا المختصر شرحه امر صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى المدينة المنورة بعد الاتفاق مع اهلها على النصر والتاييد فهاجر مختفيا ومعه صاحبه ابو بكر الصديق المراد بقول الله تعالى « اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا » فوصل المدينة بعد ان راى منه من مر بهم في طريقه خوارق عجيبة . فئاواه المدنيون ونصروه ووفوا بما عاهدوه عليه وجهر بالدعوة . وامر لحمايتها باستعمال الشدة والقوة فقام بسرايا وغزوات يطول شرحها منها : بدر . واحد . والاحزاب . والفتح

وحنين . وتبوك وغيرها . مما دعت اليه حماية الدعوة ونشر الدين وابلاغه الى العالمين. فما انتقل عليه السلام الى الرفيق الاعلى سنة ١١ هـ وسنة ٦٣٢ م حتى لم يبق في شبه الجزيرة معبود غير الله الواحد الاحد وحتى ابلغ المشرقين صدى دعوته الى الله ودينه .

خلافة ابي بكر رضي الله عنه

ثم خلفه الصديق على الاثر بانتخاب المسلمين اياه بعد خلاف بسيط . وكان للصديق اليد الكبرى في تثبيت الناس واقرارهم على الحالة الطبيعية . حال موت الرسول عليه الصلاة والسلام وذلك حين كثر بينهم القيل والقال فمن مصدق بموته ومن مكذب حتى هاج الناس وماجوا من هول ما اصابهم ومن شدة الهلع الذي استولى على قلوبهم . فما نطق ابو بكر بقول الله تعالى « وما محمدا الا رسول قد خلت من قبله الرسل افائن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين » حتى شعر الناس بروح جديدة تسربت الى نفوسهم وسلوى لاقبل لهم بها انسابت الى افئدتهم فكانهم قبل ذلك لا يدرون انها اية تتلى من فرط ما اصابهم من الجزع والذهول . ولاغرابة فقوة ايمان ابي بكر ويقينه لا مطمع فيهما لغيره وقد قال فيه النبيء عليه السلام « لو وزن ايمان ابي بكر بايمان هذه الامة لرجحه » وفضائله كثيرة لا تحصى واليه وحده يرجع الفضل في حمل الامة على حرب المرتدين الذين حدثتهم نفوسهم بعد موت النبيء صلى الله عليه وسلم بالتملص من الاوامر الشرعية والامتناع من تنفيذها ولولاه لخارت قوى المسلمين وعظم خطر المرتدين والمتنبئين واشتد بلاؤهم وطمع في المومنين كل طامع بل ربما انهار كل ما شيده الرسول عليه السلام فابو بكر على قصر مدته هو الذي ثبت دعائم الدين ووطد اركانه

نهائيا وما اجملها واوقعها في النفوس خطبته رضي الله عنه التي استهل بها خلافته فكانت كالعنوان او كالدستور لعهده الميمون واليك نصها . ايها الناس اني قد وليت عليكم ولست بخيركم فان احسنت فاعينوني وان صدقت فقوموني الصدق امانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوي عندي حتى ءاخذ له حقه والقوي فيكم ضعيف حتي آخذ منه الحق ان شاء الله لايدع احد منكم الجهاد فانه لايدعه قوم الا ضربهم الله بالذل واطيعوني ما اطعت الله فيكم فان عصيته فلا طاعة لي عليكم اهـ ولما حضرته الوفاة عهد بالخلافة الى الفاروق

خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

بعهد من ابي بكر تولى عمر الفاروق خلافة المسلمين سنة ١٣ هـ وسنة ٦٢٤ م وتسمى بامير المؤمنين وهو اول حامل لهذا اللقب في الاسلام. فاقتفى اثر سلفيه بما يجب وكما يجب من عدل لا مزيد بعده لمستزيد وزهد في الدنيا منقطع النظير وشدة مشكورة في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وصال وجال في حروبه الموفقة صولات زلزلت عروشا كانت تخر لعظمتها الجبابرة وتخضع لسلطان الجالسين عليها امم تعد بالملايين ففتح بعزيمته الماضية كلا من العراق وفارس والشام وفلسطين ومصر وغيرها على يد قواده العظام ابي عبيدة بن الجراح وسعد بن ابي وقاص وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وغيرهم من الابطال الخالدين . وبينما الناس في ارغد عيش واهناه متمتعين بعدله وشفقته وعطفه اذ طعنه على غبر انتظار ابو لؤلؤة فيروز غلام المغيرة بن شعبة فمات شهيدا مبكيا عليه مأسوفا على مآثره وعلى سيرته المرضية وايامه الزاهية البهية وذلك سنة ٢٤ هـ وسنة ٦٤٤ م وعهد بالخلافة الى جماعة من كبار الصحابة جعلها بينهم شورى فحكموا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وبعد اختبار وامتحان وجس لنبض الفكر العام وقع اختياره على عثمان بن عفان الاموي

خلافة عثمان بن عفان الاموي

تولى الخلافة عثمان بانتخاب الامة عن طريق عبد الرحمن بن عوف المفوض له ذلك من طرف المرشحين اليها كما علمت . فسلك سبيل اسلافه ردحا من الدهر واتسعت في عهده الفتوحات شرقا وغربا وشمالا واحدث اول اسطول اسلامي على يد واليه على الشام معاوية بن ابي سفيان وقاتل هذا الاسطول وانتصر انتصارا عظيما على الاعداء . ثم وقع في نفسه شيء من الميل الى اسرته بني امية فآثرهم على غيرهم وتصرف بعض تصرفات لم ترض الجمهور من اصحاب النبي عليه السلام فاستتابوه منها فتاب ثم عاد فتجمهر عليه جمع منهم ومن اهل الآفاق وحاصروه في الدار مدة ثم قتلوه سنة ٣٥ هـ وسنة ٦٥٥ م وكبار الصحابة بين ساكت وراض . وبعد اخذ ورد بايعوا عليا بن ابي طالب

خلافة علي بن ابي طالب الهاشمي

بعد موت عثمان بويع بالخلافة الامام علي صهر النبي وابن عمه . وبايعه فيمن بايع طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام . ثم نكثا ما بعنقهما من البيعة واستنغرا معهما ام المؤمنين عائشة بنت ابي بكر (الزوج الوحيدة التي تزوجها بكرا سيدنا الرسول عليه السلام) . فحاربهم علي وقهرهم في واقعة الجمل المشهورة . وفيها قتل طلحة والزبير والوف من الطرفين واما السيدة عائشة فقد تابت من عملها بعد ذلك وندمت اشد الندم خصوصا لما اخبروها بانها مرت يومئذ على ماء الحوءب الذي اخبرها الرسول بان احدى نسائه ستنبحها كلابه وهي متلبسة بمعصية . ثم وجه فكره الى حرب معاوية بن ابي سفيان حاكم الشام فحاربه وهو على حق في ذلك والجمهور الاعظم من الصحابة موافقون له . واشد الوقائع هولا وبلاء وقعة صفين التي مات فيها من المسلمين

عشرات الالوف . وكادت الدوائر تدور على معاوية لولا دهاؤه ودهاء عمرو ابن العاص مستشاره اذ دبرا ما اوقع التفرقة في صفوف المسلمين من رفع المصاحف (اشارة الى تحكيم المصحف الشريف) فاطلت الحيلة ونفذت المكيدة وتفرق رأي قوم علي فمن قائل ان هذه حيلة يريدون بها ان يفرقوا كلمتكم ويلقوا الفتنة بين صفوفكم فامضوا على حقكم وواصلوا القتال حتى يتم لكم النصر على الفئة الباغية (قوم معاوية) فان الله تعالى يقول (فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله الآية) فالحكم في الفئة الباغية مبرم من عند الله لا يحتاج الى تحكيم الرجال فيه . ومن هؤلاء اصحاب عبد الرحمن بن وهب الراسبي (اهل النهروان) ومن قائل ان القوم يريدون السلم وحقن الدماء بين المسلمين اذ جعلوا كتاب الله بيننا وبينهم فلا بد من توقيف القتال لنقف على حقيقة الحال ونفتح باب المفاوضة معهم . فتغلب هذا الرأي وعين الطرفان حكمين ابا موسى الاشعري عن علي وعمرو بن العاص عن معاوية وبعد جدال عنيف ومذاكرات سرية طويلة اتفق الحكمان على عزل معاوية وعلي ورد الامر الى من ينتخبه المسلمون بعد . فكان باطن ابي موسى في ذلك كظاهره . ولكن عمرا كان يظهر خلاف ما يبطن . فاعلن الاشعري عزل علي ومعاوية لانه هو القائم اولا بتقديم زميله اياه ... واما عمرو فلما قام اعلن موافقته ابا موسى الاشعري في عزله عليا واثبت صاحبه معاوية .. فكان لهذا التحكيم المخالف لظاهر الشرع اثره السيء وعواقبه الوخيمة على علي خاصة وجاء خير خادم لمصلحة معاوية . فخالف عليا قوم ووافقه اخرون فحارب من خالف وندم . وحارب معاوية ولم يتوفق وامضى بقية ايامه في تعب وعناء وهرج ومرج الى ان قتله عبد الرحمن بن ملجم سنة ٤٠ هـ وسنة ٦٦٠م وكسرى العرب معاوية بن ابي سفيان لم ير منذ التحكيم الا ما يسره من الاقبال والتوفيق فقد اخذ كثيرا من البلاد التي كانت تابعة لعلي كمصر والحرمين واليمن وغيرها شيئا بالشدة والقسوة وشيئا باللين والاحسان واساليب

السياسة . ولا تسأل عن اهل الشام انصاره الاصليين فانهم ما برحوا طوع اشارته لا يردون له امرا ولا يسفهون له رأيا

اذا كان عون الله للمرء ناصرا تهيا له من كل صعب مراده

الحسن بن علي بن ابي طالب

ولما قتل ابن ابي طالب كما تقدم بايع العراقيون ابنه الحسن . فما مضى غير زمن يسير حتى سلم الامر لمعاوية على شروط لم يف له بواحد منها فضلا عن ان موته كان في حياة معاوية وذلك مما زاد سروره

ملك معاوية بن ابي سفيان

ولما سلم الحسن ثم مات صفا الجو لمعاوية فشمر على الساعد مجدا في كل ما يوطد ملكه ويدعم سلطانه . واتسعت في عهده الفتوحات من كل جهة وتقوى الاسطول في عهده جدا . ولما بلغ مراده وقبض على صولجان الملك بيد من حديد فكر في اخذ البيعة بولاية العهد لابنه يزيد فتم له ذلك ايضا بلا تعب ولا كبير عناء وكانت هذه ايضا من البدع المعروفة في الملك العضوض البعيدة عن الشورى التي هي اساس الحكم في الاسلام وقاعدة الامامية الشرعية وقد ارتكب مخالفات غير هذه ومنها سنه شتم علي بن ابي طالب على المنابر ايام الجمعة وما زال متبوعا في هذه السنة السيئة ممن بعده من ملوك بني امية الى ان ازالها عمر بن عبد العزيز وابدلها بالآية الكريمة: (ان الله يأمر بالعدل والاحسان) الآية

اليزيد بن معاوية ومعاوية بن اليزيد

ولما مات معاوية سنة ٦٠ هـ وسنة ٦٧٩ م تولى اليزيد بعهد منه فعاث في الارض فسادا وشرب الخمر واتى من انواع المنكر والمحرمات ما هو مدون معروف . وفي ايامه وعلى يد عامله على العراق عبيد الله بن زياد كانت واقعة كربلاء المشهورة

التي قتل فيها الحسين شهيد الحق وشهيد الدفاع عن حريمه وشرفه . وتفصيل ما وقع فيها من القسوة والفضاضة التي عاملوا بها ءال الحسين يستغرق صحائف عديدة . وفي ايامه ايضا كانت وقعة الحرة التي استبيحت فيها المدينة المنورة حرم الرسول ثلاثة ايام وانتهكت حرمة مكة المكرمة ورماها قائده بالمنجنيق . ولما مات اليزيد سنة ٦٤ هـ وسنة ٦٨٢ م بويع ابنه معاوية وكان رجلا تقيا من جهة وضعيف الارادة من جهة اخرى فما لبث غير ثلاثة اشهر حتى اجمع امره على التسليم في الملك فصعد المنبر والناس مجتمعون فقال بعد ان حمد الله واثنى عليه . اما بعد فاني قد ضعفت عن امركم فابتغيت لكم مثل عمر بن الخطاب حين استخلفه ابو بكر فلم اجده فابتغيت ستة مثل ستة الشورى فلم اجدهم فانتم اولى بأمركم فاختاروا له من احببتم . ثم توارى عن الانظار الى ان مات . وبه انتهى ملك ءال ابي سفيان بن حرب من بني امية فانتقل الملك الى فرع ءاخر منه وهم ءال الحكم بن ابي العاص

ملك مروان بن الحكم وبنيه

تولى مروان بن الحكم سنة ٦٤ وسنة ٦٨٢ بعد تردد وبعد ان هم بالذهاب الى عبد الله بن الزبير ليبايعه بالخلافة وقد بايعه اهل الحرمين وكثير من الاقطار قبل ذلك اي في اواخر ايام يزيد بن معاوية وكاد الامر يتم لابن الزبير لو استعمل شيئا من الدعاية والدهاء في السياسة فقد كان عامل دمشق الضحاك بن قيس معه ايضا وغيره وغيره كالحصين بن نمير الذي كان محاصرا له بمكة من قبل اليزيد فقد دعاه الي الذهاب لاخذ البيعة له من اهل الشام ومن نفس رؤساء الجيش المحاصر فابى . فكان ما اراده الله من بيعة مروان الذي هم كما قلنا بمبايعة ابن الزبير لولا قواد بني امية ومعارضتهم له . ومات مروان سنة ٦٥ هـ

عبد الملك بن مروان

وبعهد من ابيه تولى الملك الداهية عبد الملك بن مروان الفقيه النابغة فوطد بحق ملك بني مروان ودعم قواعده وتغلب على من ناواه كما تغلب بحزمه ونفوذ عزيمته على عبد الله بن الزبير بواسطة السفاك الطاغية الحجاج بن يوسف الذي ضرب مكة بالمجانيق وصلب ابن الزبير وعتا عتوا كبيرا في العراق لما ولاه عبد الملك عليها بعد ذلك . والى هنا انتهى ما اردنا سرده من الحوادث التاريخية العامة اذ ليس المقصود لنا الا شيئا واحدا هو ان ناتي بمختصر وجيز من تاريخ مذهب الاباضية المجهول عند فريق كبير من اهل العلم والادب في الشرق الاسلامي مع نبذة مما بين هذا المذهب والمذاهب الاربعة من المسائل الخلافية تتميما للفائدة وتعريفا بما يجهله الكثير من المتنورين منهم . وانما لاجل الربط فقط اوردنا سلسلة مختصرة من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبد الملك بن مروان المعاصر لامام الاباضية عبد الله بن اباض المري التميمي التابعي رضي الله عنه

ظهور المذهب الاباضي وامامه عبد الله ابن اباض

ظهر المذهب الاباضي في القرن الاول من الهجرة . فهو اقدم المذاهب الاسلامية على الاطلاق اذ ان امامه المنسوب اليه عبد الله بن اباض التميمي هو من التابعين الاولين المعاصرين لعبد الملك (١) بن مروان موطد الملك الاموي المشهور . وكانت لذاك مع هذا مراسلات تستغرق صحائف كلها نصائح غالية لعبد الملك تحتم عليه ان يعمل باوامر الشرع فيعدل في الحكم بين الناس

---

(١) ولد هذا الخليفة الاموي العظيم سنة ٢٦ هـ و ٦٤٦ م وتوفى ٨٦ هـ . و ٧٠٥ م واما تاريخ معاصرة الامام ابي اباض ولادة ووفاة فلم نقف لهما على اثر.

ليستوجب الطاعة التي يدعوهم اليها . وللامام ابن اباض مواقف مشرفة في مناظرة الخوارج الازارقة وغيرهم ممن يحكمون بالشرك على كل من صدر منه ذنب من اهل القبلة .

جوابه الى عبد الملك

وبما انه الامام المنسوب اليه المذهب الاباضي ومن كبار التابعين المجتهدين في صدر الاسلام وفي القرن الاول من عصوره اي قبل حدوث جميع المذاهب الاسلامية الباقية والبائدة اعني المذاهب الاربعة وغيرها . فلا ارى من باس في ذكر احد اجوبته الى عبد الملك ابن مروان للوقوف على الروح الدينية السائدة ذلك العصر الفطري المجرد من الاهواء الدنيوية في غالب احواله . واليك نص الجواب فليتأمله القاري :

بسم الله الرحمن الرحيم ـ وصلى الله على سيدنا محمد من عبد الله بن اباض الى عبد الملك بن مروان سلام عليك فاني احمد الله الذي لا اله الا هو واوصيك بتقوى الله فان العاقبة للتقوى والمرد الى الله واعلم انه انما يتقبل من المتقين . اما بعد فقد جاءني كتابك مع سنان بن عاصم وانك كتبت الي ان اكتب اليك بكتاب فكتبت به اليك فمنه ما تعرف ومنه ما تنكر زعمت ان ما عرفت منه ما ذكرت به من كتاب الله وحضضت عليه من طاعة الله واتباع امره وسنة نبيه . واما الذي انكرت منه فهو عند الله غير منكر . اما ما ذكرت من عثمان والذي عرضت به من شان الائمة فان الله ليس ينكر عليه احد شهادته في كتابه بما انزل على رسوله انه من لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون والكافرون والفاسقون ثم اني لم اكن اذكر لك شيئا من شان عثمان والائمة الا والله يعلمه انه الحق وسانزع لك من ذلك البينة من كتاب الله الذي انزله على رسوله وساكتب لك في الذي كتبت به واخبرك من خبر عثمان والذي طعنا عليه فيه وابين شانه . لقد كان ما ذكرت

كما ذكرت من قدم في الاسلام وعمل به ولكن الله لم يجر العباد من الفتنة . لقد بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وانزل عليه الكتاب فيه تبيان لكل شيء يحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه فاحل الله في كتابه حلالا وحرم حراما وفرض فيه فرائض وفصل بين قضائه وبين حدوده فقال تلك حدود الله فلا تقربوها وقال ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون وقسم ربنا قسما وليس لعباده فيه الخيرة ثم امر نبيه باتباع كتابه فقال له اتبع ما يوحى اليك من ربك وقال فاذا قرأناه فاتبع قرءانه ثم ان علينا بيانه فعمل محمد صلى الله عليه وسلم بامر ربه ومعه عثمان ومن شاء الله من اصحابه لا يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعدى حدا ولا يبدل فريضة ولا حكما ولا يستحل شيئا حرمه الله ولا يحرم شيئا احله الله ولا يحكم بين الناس الا بما انزل الله وكان يقول اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم فعمر صلى الله عليه وسلم ما شاء الله تابعا لما امر الله يبلغ ما جاء من الله والمؤمنون معه يعلمهم وينظرون الى عمله حتى توفاه الله عليه الصلاة والسلام وهم عنه راضون فنسال الله اتباع سبيله والعمل بسنته ثم اورث الله عباده الكتاب الذي جاء به محمد وهداه ولا يهتدى من اهتدى من الناس بتركه . ثم قام من بعده ابو بكر على الناس فاخذ بكتاب الله وعمل بسنة نبيه ولم يفارقه احد من المسلمين ولم يعب عليه احد في حكم حكمه ولا في قسم قسمه حتى فارق الدنيا واهل الاسلام عنه راضون وعليه مجتمعون . ثم قام بعده عمر فكان قويا في الامر شديدا على اهل النفاق يهتدى بمن كان قبله من المؤمنين يحكم بكتاب الله وسنة نبيه وابتلاه الله بفتوح من الدنيا ما لم يبتل به صاحبه وفارق الدنيا والدين ظاهر وكلمة الاسلام جامعة وشهادتهم قائمة والمؤمنون شهداء الله في الارض قال الله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا . وبعد موته اشتور المؤمنون فولوا عثمان فعمل ما شاء الله بما يعرف اهل

الاسلام حتى بسطت له الدنيا وفتح له من خزائن الارض ما شاء الله. ثم احدث امورا لم يعمل بها صاحباه قبله وعهد الناس بنبيهم حديث فلما رأى المؤمنون ما احدث اتوه فكلموه وذكروه بكتاب الله وسنة من كان قبله من المؤمنين فاعرض عنهم والله يقول ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها انا من المجرمين منتقمون. فشق عليه ان ذكروه بآيات الله واخذهم بالجبروت وضرب منهم من شاء وسجن ونفى. واني ابين لك يا عبد الملك بن مروان الذي انكر المؤمنون على عثمان وفارقوه عليه فلعلك تكون جاهلا به غافلا عنه وانت على دينه وهواه . لا يحملنك يا عبد الملك هوى عثمان ان تجحد بآيات الله وتكذب بها فان عثمان لا يغني عنك من الله شيئا فالله الله يا عبد الملك قبل التناوش من مكان بعيد وقبل ان تكون لزاما واجل مسمى . انه كان مما طعن المؤمنون عنه وفارقوه وفارقناه فيه ان الله قال ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم فكان عثمان اول من منع مساجد الله ان يقضى فيها بكتاب الله . ومما نقمناه عليه وفارقناه عليه ان الله قال لمحمد صلى الله عليه وسلم ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين. فكان اول رجل من هذه الامة طردهم ونفاهم وكان ممن نفاهم من المدينة ابو ذر الغفاري ومسلم الجهني ونافع بن الحطام ونفى من الكوفة كعب بن ابي الحلمة وجندب بن زهير (وجندب هو الذي قتل الساحر الذي كان يلعب به الوليد بن عقبة) ونفى عمرو بن زرارة وزيد بن صوحان واسود بن ذريح ويزيد بن قيس الهمداني وكردوس بن الحضرمي في ناس كثير من اهل الكوفة ونفى من اهل البصرة عامر بن عبد الله القسري ومذعور العنبري ولا

استطيع لك عد من نفاهم من المؤمنين . ومما نقمنا عليه انه اقر اخاه الوليد بن عقبة على المؤمنين وكان يلعب بالسحرة ويصلي بالناس سكران ومع فسقه في دين الله اقره من اجل قرابته على المهاجرين والانصار وعهدهم حديث بعهد الله ورسوله . ومما نقمنا عليه تأميره قرابته على عباد الله وجعل المال دولة بين الاغنياء وقال الله كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم.فبدل كلام الله واتبع الهوى . ومما نقمنا عليه انه انطلق الى الارض ليحميها لنفسه واهله حمى حتى منع قطر السماء والرزق الذي انزله الله لعباده لانفسهم ولانعامهم وقد قال الله قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله اذن لكم ام على الله تفترون وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة . ومما نقمنا عليه انه اول من تعدى في الصدقات وقد قال الله انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم. وقال الله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان تكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا. فالذي احدث عثمان منعه فرائض كان فرضها عمر بن الخطاب رضي الله عنه وانتقص اصحاب بدر الفا الفا من عطاياهم وكنز الذهب والفضة ولم ينفقها في سبيل الله والله يقول والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله الى قوله فذوقوا ما كنتم تكنزون . ومما نقمنا عليه انه كان يضم كل ضالة الى ابله ولا يردها ولا يصرفها وكان يأخذها من الابل والغنم اذا وجدها عند احد من الناس وان كانوا قد اسلموا عليها وكان لهم في حكم الله ان لهم ما اسلموا عليه والله يقول ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين . وقال لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا . ومما نقمنا عنه انه اخذ خمس الله لنفسه واعطاه

لأقاربه وجعل منهم عمالا على اصحابه وكان ذلك تبديلا لفرائض الله و قد فرض الله الخمس لله ولرسوله ولذي القربى واليتامى والمساكين . ومما نقمنا عليه انه منع اهل البحرين واهل عمان ان يبيعوا شيئا من طعامهم حتى يباع طعام الامارة وكان ذلك تحريما لما احل الله قال واحل الله البيع وحرم الربا. وكل ما عددت عليك من عمل عثمان يكفر الرجل بعمل بعضه (١) هذا وكان من عمل عثمان انه كان يحكم بغير ما انزل الله وخالف سنة نبي الله والخليفتين الصالحين ابو بكر وعمر وقد قال الله ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا وقال ومن لم يحكم بما انزل فاولئك هم الظالمون وقال لا ينال عهدي الظالمين وقال ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من اولياء ثم لا تنصرون وقال ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون وقال وكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون . كل هذه الآيات تشهد على عثمان وانما شهدنا عليه بما شهدت هذه الآيات والله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا . وقال فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون . فلما راى المؤمنون الذي نزل به عثمان من معصية الله تبرؤوا منه والمؤمنون شهداء الله ناظرون اعمال الناس وكذلك قال الله : اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون . وترك خصومة الخصمين في الحق والباطل فوقع ما اوعد الله من الفتن وسار الناس الى عثمان من اطراف الارض واجتمعوا في ملأ من المهاجرين والانصار وعامة

---

(١) متى ذكر الكفر بالنسبة لاهل القبلة فالمراد به كفر النعمة وجميع احكام الموحدين تجري على صاحبه واطلاق الكفر على الفاسق الموحد جاءت به الاحاديث النبوية واللغة لا تمنعه فافهم الفرق واحذر من الخلط

ازواج النبيء فاتوه وذكروه الله واخبروه بالذي اتاه من معاصي الله فزعم انه يعرف الذي يقولون وانه يتوب الى الله ويراجع الحق فقبلوا منه الذي اتاهم به من اعتراف بالذنب والتوبة والرجوع الى امر الله فقبلوا منه وكان حقا على اهل الاسلام اذا اتوا بالحق ان يقبلوه . فلما تفرق الناس نكث الذي عاهدهم عليه وعاد فيما تاب منه فكتب في ادبارهم ان تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف فلما ظهر المؤمنون على كتابه ونكثه العهد الذي عاهدهم عليه رجعوا فقتلوه بحكم الله قال الله وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون . فسار سيرة اهل الاسلام ما شاء الله وعمل بالحق ثم خالف وترك سنة من كان قبله من المؤمنين فنفذوا فيه حكم الله . هذا خبر عثمان وما فارقناه فيه وطعن عليه المؤمنون قبلنا وذكرت انه كان مع رسول الله وختنه فقد كان علي بن ابي طالب اقرب الى رسول الله واحب اليه منه وكان ختنه ومن اهل الاسلام وانت تشهد عليه بذلك فكيف تكون قرابته من محمد صلى الله عليه وسلم نجاة اذا ترك الحق . واعلم انما علامة كفر هذه الامة حكمها بغير ما انزل الله لقوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل فاولئك هم الكافرون ومن اصدق من الله قيلا قال الله فبأي حديث بعد الله وءاياته يؤمنون . فلايغرنك ياعبدالملك بن مروان عز عثمان عن نفسك ولا تسند دينك الى رجال يتمنون ويريدون ويستدرجون من حيث لا يعلمون انما الاعمال بخواتمها وكتاب الله جديد ينطق بالحق اجارنا الله باتباعه فاعتصم بالله فمن يعتصم به يهده صراطا مستقيما وكتاب الله هو حبل الله الذي امر المؤمنون ان يعتصموا به ولا يتفرقوا وليس حبل الله الرجال ايا كانوا فاذكرك الله بان تتدبر القرءان فانه حق قال تعالى افلا يتدبرون القرءان ام على قلوب اقفالها فكن تابعا لما جاء من الله فانه به تخاصم من خاصمك من الناس واليه تدعو وبه تحتج فان من يكون القرءان حجته يوم القيامة يفلح في الدنيا والاخرة والناس يوم القيامة عند ربهم يختصمون . فاعمل لما بعد

الموت فلا يغرنك بالله الغرور . واما قوله في شان معاوية بن ابي سفيان ان الله قام معه وعجل نصره واظهره على عدوه بطلب دم عثمان . فان يعتبر الدين من قبل الدولة ان يظهر الناس بعضهم على بعض في الدنيا فانا لا نعتبر الدين بالدولة فقد ظهر المسلمون على الكافرين لينظر كيف يعملون وقد ظهر الكفار على المسلمين ليباو المسلمين بذلك قال الله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين ءامنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين ءامنوا ويمحق الكافرين . وقد سمعت بما اصاب المشركون من المسلمين يوم احد وقد ظهر الذين قتلوا ابن عفان عليه وعلى شيعته يوم الدار وظهروا ايضا على اهل البصرة وهم شيعة عثمان وظهر المختار على ابن يزيد واصحابه وهم شيعتهم وظهر مصعب على المختار وظهر اهل الشام على اهل المدينة وظهر ابن الزبير على اهل الشام بمكة يوم استحلوا منها ما حرم الله عليكم وهم شيعتكم فان كان هؤلاء على الدين فلا يعتبر الدين من قبل الدولة فقد يظهر الناس بعضهم على بعض ويعطي الله رجلا كافرا ملكا في الدنيا كما اعطى فرعون ومكنه في الارض واعطى الذي حاج ابراهيم في ربه . ثم انما اشترى معاوية الامارة من الحسن بن علي ولم يف له بالذي عاهده عليه والله يقول اوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون . ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا تتخذون ايمانكم دخلا بينكم ان تكون امة هي اربى من امة انما يبلوكم الله به وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون . فلا تسأل عن معاوية ولا عن عمله وصنيعه وقد ادركناه ورأينا عمله وسيرته في الناس ولا نعلم من الناس احدا قبله اترك للقسمة التي قسم الله ولا لحكم حكمه الله ولا اسفك لدم حرام منه فلو لم يصب من الدماء الا دم ابن سمية لكان في ذلك ما يكفره . ثم استخلف ابنه يزيد وكان فاسقا ملعونا يشرب الخمر ويتبع هواه قال الله ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان

الله لا يهدي القوم الظالمين . فلم يخف عمل معاوية ويزيد على كل ذي عقل من الناس فاتق الله يا عبد الملك ولا تخادع نفسك في معاوية . فقد ادركنا اهل بيتكم يطعنون في معاوية ويزيد ويعيبون عليهما كثيرا مما يصنعون فمن يتول عثمان ومن معه فانا نشهد الله وملائكته بانا منهم برءاء ولهم اعداء. على ذلك نعيش ما عشنا وعليه نموت اذا متنا وبه نحاسب عند الله اذا بعثنا وكتبت الي تحذرني من الغلو في الدين واني اعوذ بالله من الغلو في الدين وسابين لك ما الغلو في الدين اذا جهلته فانه ما كان يقال على الله غير الحق ويعمل بغير كتابه الذي بين لنا وسنة نبيه التي سن قال الله تعلى يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق. كما فعل عثمان والايمة من بعده وانت على طاعتهم وتجامعهم على معصية الله وقد اتبعوا اهواءهم واتبعتهم انت عليها وقال الله عز وجل ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل الاية فهؤلاء هم اهل الغلو في الدين لا من دعا الى الله والى كتابه وغضب لله حين عصي امره واخذ بحكمه حين ضيع وتركت سنة نبيه . وانا نبرأ من ابن الازرق واتباعه من الناس لقد كانوا على الاسلام فيما ظهر لنا حين خرجوا ولكنهم ارتدوا عنه وكفروا بعد اسلامهم فنبرأ الى الله منهم . وكتبت الي طالبا ان اكتب اليك بجواب كتابك واجتهد لك في النصيحة واني ابين لك ان كنت تعلم فضل ما كتبت اليك به وذكرتني بالله ان ابين لك فاني قد بينت لك بجهد نفسي واخبرتك خبر الامة وكان حقا علي ان انصح لك لما قد علمت ان الله يقول ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم. فان الله لم يتخذني عبدا لاكفر به ولا ان اخادع الناس بشيء ليس في نفسي واخالف الا ما انهي عنه

ادعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ولتحلوا حلاله ولتحرموا حرامه ولترضوا بحكمه وتتوبوا الى ربكم وتراجعوا كتاب الله وادعوكم الى كتاب الله ليحكم بيني وبينكم في الذي اختلفنا فيه ونحرم ما حرم الله ونقسم بماقسم الله ونحكم بما حكم الله ونبرأ ممن برأ الله ورسوله ونتولى من يتولاه الله ونطيع من احل لنا طاعته في كتابه ونعص من امر الله بمعصيته . فهذا الذي ادركنا عليه نبينا عليه السلام وان هذه الامة لم تسفك دما الا حين تركوا كتاب ربهم الذي امرهم ان يعتصموا به وانهم لا يزالون متفرقين مختلفين حتى يراجعوا كتاب الله وسنة نبيه ويحكموه فيما اختلفوا فيه فان الله يقول وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت واليه انيب . وان هذا هو السبيل الواضح وهو الذي هدى الله به من كان قبلنا محمدا صلى الله عليه وسلم والخليفتين الصالحين من بعده فلا يضل من اتبعه ولا يهتدى من تركه قال الله وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون . فاحذر ان تفرق بك السبيل عن سبيله وتزين لك الضلالة باتباعك هواك فيما جمعت اليه الرجال فانهم لن يغنوا عنك من الله شيئا انما هي الاهواء وانما يتبع الناس امامين امام هدى وامام ضلالة . اما امام الهدى فهو الذي يحكم بما انزل الله ويقسم بقسمه ويتبع كتاب الله وهم الذين قال الله فيهم وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بئاياتنا يوقنون . وهؤلاء اولياء المؤمنين الذين امر الله بطاعتهم ونهى عن معصيتهم . واما امام الضلالة فهو الذي يحكم بغير ما انزل الله ويقسم بغير ما قسم الله ويتبع هواه بغير سنة من الله فذلك كفر كما سمى الله ونهى عن طاعتهم وامر بجهادهم كما قال ولا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا . فانه حق انزله بالحق وليس بعد

الحق الا الضلال ولا تضر بن الذكر عنك صفحا ولا تشكن في كتاب الله ولا حول ولا قوة الا بالله فان من لم ينفعه كتاب الله لم ينفعه غيره . كتبت الي ان اكتب اليك بمرجوع كتابك فاني قد كتبت اليك وانا اذكرك بالله العظيم ان تقرأ كتابي بتدبر وانت فارغ . ثم اكتب الي ان استطعت بجواب كتابي انزع عليه بينة من كتاب الله اصدق به قولك ولا تعرض لي بالدنيا فانه لا رغبة لي فيها وليست من حاجتي ولكن لتكن نصيحتك لي في الدين ولما بعد الموت فان ذلك افضل النصيحة والله قادر ان يجمع بيني وبينك على الطاعة فانه لاخير لمن لم يكن على طاعة الله وبالله التوفيق ومنه الرضا والسلام عليك والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وسلم تسليما .

التعليق على الجواب

ان المتامل في هذه الرسالة او الرسائل المتبادلة بين الخليفة الدهقان عبد الملك بن مروان وبين الامام الديني العظيم عبد الله بن اباض يتبين له جليا ما لابن مروان من الباع الطويل وبعد النظر في سياسة الملك والمقدرة على توطيد اركانه وتشييد دعائمه فهو يريد فوق ذلك ان يلبس ملكه ثوبا من الخلافة الصحيحة المؤيدة بموافقة ايمة الدين وذوى الراي النافذ في الامة وفي مقدمتهم الامام ابن اباض الذي مع سلوكه الشدة معه لم ينقل الينا ان تعمد الى البطش به ويا ما اكثر من بطش بهم مباشرة وبواسطة . فالامر اذا لا يخلو اما لانه

سلم بصحة نصيحة الامام واذعن لقوة دينه ويقينه ولكن حال دون العمل بها فساد المحيط وتمكن حب الملك ولذة السلطان من نفسه مع ما للبطانة والقرابة بحكم العادة من اليد القوية في الحيلولة بينه وبين ما يهم به من قبول النصيحة في الدين والرجوع الى ما عليه السلف الصالح ويحتمل ان يكون ذلك للخوف من باس ابن اباض وعشيرته فيما اذا حدثته نفسه شرا . ويمكن غير ما ذكر من الاحتمالات ومهما يكن من الامر فالايمان الراسخ والوثوق الشديد بالله عز وجل والزهد الكامل فى هذه الدنيا ونعيمها والصراحة في الحق والاخلاص التام لدين الله كيفما كان الحال . كل هذه المزايا تتجلى للناظر في شخص ابن اباض من بين سطور كتابه الى ابن مروان . فرحم الله ابن اباض ورحم الله اولئك الصالحين من عباده الذين لا تأنف نفس الواحد منهم ان يقول ما قاله الصديق (واطيعوني ما اطعت الله فيكم فان عصيت فلا طاعة لي عليكم) او ما قاله الفاروق (ايها الناس من رأى منكم في اعوجاجا فليقومه) .

الامام ابو الشعثاء جابر بن زيد

من اعظم رجال المذهب الاباضي وايمته الامام المجتهد ابو الشعثاء جابر بن زيد الازدى العماني المولود عام ١٨ هـ . الموافق ٦٢٨ م بقرية قريبة من مدينة نزوى عاصمة المملكة العمانية المتوفى سنة ٩٣ هـ ٧١١ م بالبصرة . نشأ اولا بعمان ثم ارتحل الى البصرة لاجل طلب العلم فأقام بها الى ان مات فنسب اليها وكان اعلم

اهل زمانه واحفظهم للحديث النبوي واتقاهم لله عز وجل . اخذ العلم عن كثير من الصحابة ومما قاله عن نفسه في هذا المعنى تحدثا بنعمة الله عليه . ادركت سبعين رجلا من اهل بدر فحويت ما عندهم من العلم الا البحر الزاخر يعني سيدنا عبد الله بن عباس جد العباسيين وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما اخذ جابر عن ابن عم الرسول فكذلك اخذ عن اشهر ازواجه السيدة عائشة ابنة الصديق رضي الله عنهما . وفي التنويه بغزارة علمه قال ابن عباس اسألوا جابر بن زيد فلو سأله من بالمشرق والمغرب لوسعهم علمه ولما مات جابر قال انس بن مالك خادم رسول الله مات اليوم اعلم من في الارض وقال قتادة اليوم مات عالم العرب . وقال اياس بن معاوية رايت البصرة وما فيها مفت غير جابر بن زيد . مع كثرة من فيها يومئذ من الفقهاء الاجلاء كالحسن البصري وسعيد بن المسيب وثابت البناني وغيرهم . ومن المأثور انه لما قربت وفاته تمنى رؤية الحسن البصري فجاءه الحسن مسرعا هو وثابت فسأله جابر بقوله اخبرني يا ابا سعيد عن حديث تروبه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في المؤمن اذا حضرته الوفاة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن اذا حضرته الوفاة وجد على كبده بردا فقال جابر الله اكبر اني اجد على كبدي بردا ثم قبض عليه. رحمة الله ورضوانه وكان هذا الامام ايضا كثير المناظرة للخوارج المارقين وله تاليف في الفقه كبير يسمى ديوان جابر انتفع الناس به في حياته وبعد مماته وكان محفوظا في مكتبة بغداد ثم اخذ منها واحرق او اغرق ولنقتصر على هذه النبذة من تاريخ حياته الحافلة بجلائل الاعمال اذ التبسط فيها يستدعي التطويل .

هذا ولا ندري السبب في عدم نسبة المذهب اليه مع انه افقه واعلم اهل زمانه وقد قيل ان ابن اباض يصدر في كل شؤونه عن فتواه ولا يبت في امر من الامور الا بمشورته ورضاه . والحديث عنه يطول جدا

الامـام ابو عبيده مسلم بن ابي كريمة وغيره من الائمة

مع جملة استطرادية شيقة

من اشهر ائمة المذهب هذا الامام الجليل التابعي المشهور ابو عبيدة مسلم وهو ممن اخذ العلم عن جابر بن زيد وصحار العبدي وجعفر بن السماك من التابعين اما الصحابة فقد ادرك جل من اخذ عنهم الامام جابر واستقى من مناهلهم العذبة رضي الله عنهم وعنه . وقد اخذ عنه وعن ضمام بن السائب كثير من معاصريهما المشهورين اذكر منهم الائمة الفحول سلمة بن سعد وابو سفيان محبوب بن الرحيل وعبد الله بن يحيى طالب الحق وابو حمزة المختار بن عوف وابو يزيد الخوارزمي والجلند بن مسعود وابو الحرص الحصين والخيار بن سالم والامام الفحل الربيع بن حبيب صاحب المسند المعدود بانه اقدم تأليف في علم الحديث وايوب بن وائل الحضرمي وغير هؤلاء كثير جدا من الاعلام المتكفل بذكر اكثرهم سير العلامة أحمد ضياء الدين الشماخي وفيهم من خراسان ومصر وغيرهما من الاقطار التي انتشر فيها اتباعهم ومدت رواقها دعوتهم . ولكن اليد السياسية قضت على هذه الدعوة ومحت وجودها من اغلب الاقطار الاسلامية . نظرا لشدة تمسك اهلها بقواعد الدين الصحيحة والمضي في سبيلها بدون محاباة ولا خضوع الى قوات المتغلبين بالرغم عن خطب ودهم المتكرر جيلا بعد جيل ومحاولة ارضائهم المرة بعد المرة ظنا من هؤلاء الملوك ان حركة اولئك المؤمنين الصادقين ربما كانت لطلب الدنيا والجاه لا للمطالبة بتطبيق احكام الله من عدل وشورى واقامة لشعائر دينه القويم . وهو حق لله والامة اغتصبه المتغلبون الظالمون وتصرفوا فيه تصرفا لم يراقبوا فيه الا ما تهواه انفسهم . ولا تطرف في طلبهم ولا غلو مطلقا وما دين الاسلام واحكامه الا وسط بين الافراط والتفريط ولا كانت تكاليفه الا تخفيفا من الاثقال التي كانت تحملها امم قبلنا حيث كان من ضمن ما يوجبه

عليهم دينهم اخراج ربع المال في الزكاة وقرض موضع النجاسة وقتل النفس في التوبة وخمسين صلاة في اليوم والليلة وغير ذلك مما لا يطاق حمله من الشدائد والاهوال . ولكن النفوس البشرية اذا القي لها الحبل على الغارب عدت كل ما خالف هواها تطرفا في المبدا وغلوا في الدين فلا يطربها الا الامعان في ملاذ هذه الفانية بجميع ما فيها من الموبقات المهلكة المكتسحة لما سيبقى في النفوس من الدين والاخلاق لا سيما اولئك الجبابرة الذين استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا فعمدوا الى حمل من يذعن اليهم من الفقهاء على تأويل كل ما يخالف اهواءهم وتهوين ما لا يقبل التأويل مما ينتهكونه من محارم الله . وقد كان لي ان اقول ان من ينعم النظر ويتعمق في البحث ويقارن بين اصول المذاهب الاسلامية وقواعدها العامة لا يلبث ان يسلم بان هذا المذهب هو اكثر المذاهب انطباقا على الكتاب والسنة وابعدها عن التأثر بالشخصيات في معتقده العام ايمانا وعملا . ويجده ايضا اطهرها من المبتدعات المنكرة مما يأتيه شيوخ الطرق الموجودة في غيره من المذاهب والتي لا اصل لوجودها فيه من لدن امامه الاول الى يومنا هذا

أباضية اليوم واين يوجدون

ان اباضية اليوم بالجبل وزواره وجربة ليسوا كأسلافهم في قليل ولا كثير من التطبيق العملي لتعاليم الدين فهم الآن كسائر اتباع المذاهب الاخرى سواء بسواء لا يمتازون عنهم بشيء الا في النادر القليل اما اهل ميزاب وعمان فانهم ما زالوا في القيام بشئون الدين على ما يرضي الله ورسوله . وقد قلنا فيما تقدم ان اليد السياسية قضت على وجودهم في اغلب الاقطار فلزم حينئذ ان نبين البقية الباقية واين مأواها فنقول . يوجد اغلبهم في القطر العماني الواقع على بحر العرب وخليج فارس من شرق شبه الجزيرة العربية حيث لا يقل عددهم هناك عن ثلاثة ملايين فهم بعمان اغلبية ساحقة ولهم بها امام عادل يعين بالشورى

ويحكم بينهم بالكتاب والسنة واكثر نواحي القطر تحت حكمه العادل الا مسقطا وبعض الجهات الساحلية فانها خاضعة لامير يلقب بالسلطان وهو اباضي ايضا الا انه مشمول بالحماية البريطانية وبينه وبين الامام اتفاقات وهو كالتابع له من الوجهة الدينية . ويوجد نحو ربع مليون من الاباضة بجزائر افريقيا الشرقية البريطانية التي كانت لا تزال الى وقت غير بعيد من مستعمرات عمان ولا يزال سلطان زنجبار (قاعدة) هذه الجزر اباضيا يتولاها هو واباؤه بالوراثة السياسية وهم وسلاطين مسقط من اسرة واحدة . ويوجد منهم بشرق افريقيا البريطاني (الالماني سابقا) عدد عديد لا ندري بالضبط ولا بالتقريب كميته وان كنا لا نجهل ان سكان هذا الاقليم يزيدون على العشرة ملايين . وكان حاكم عاصمته (دار السلام) في العهد الالماني اباضيا . وهذا يدل على كثرتهم وقوة نفوذهم هناك على ان هذه المستعمرة الكبرى كانت ايضا من مستعمرات عمان كما سيأتي بيانه عند الكلام على انتشار المذهب بالمشرق . ويوجد منهم في افريقيا الشمالية بجبل نفوسه وزواره من طرابلس وجزيرة جربه من تونس ووادي ميزاب بالجزائر ما يربو عددهم عن المائتي الف . واخيرا بلغنا انه توجد جمهورية صغيرة ببلاد القوقاز اهلها اباضية ولا ندري عددهم وماكان لنا بهم من علم الا منذ خمس سنوات او اقل

انتشار مذهب الاباضية وتاريخ ظهوره بالمغرب

لا يوجد في المستندات ما يدل دلالة واضحة على تاريخ انتشار هذا المذهب في الشمال الافريقي بالضبط وانما لنا ان نجزم بانه في عهد مروان بن محمد اخر ملوك بني امية كان مذهب الاباضية بطرابلس قويا منتشرا ومما يدل على ذلك ان الحارث وعبد الجبار زعيمي الاباضية كان قد حدث بينهما وبين عامل طرابلس من قبل بني امية خلاف ادى الى نشوب الحرب بين الفريقين كانت الدائرة فيها

على العامل . فانتزعا منه طراباس وملكاها حينا من الدهر وحكماها بعدل الى ان وجدا قتيلين وسلاح كل منهما في الآخر والظاهر ان عبد الجبار هو الامام والحارث وزيره او قاضيه وهما اخوان لام او ابنا خالة وقبيلتهما هوارة . وفي رواية لغير اصحابنا ان القاتل لاولهما هو عبد الرحمن بن حبيب عامل القيروان الاموي وذلك سنة ١٣١ هـ و ٧١٨ م وقيل سنة ١٣٢ هـ ثم لم يلبث الامر غير يسير من الزمن حتى عاد النفوذ الى الاباضية بصورة اوسع واقوى مما كان في زمنهما ، وذلك باستيلاء ابي الخطاب عبد الاعلى بن السمح اليمني

امامة ابي الخطاب عبد الاعلى

في سنة ١٤٠ هـ ٧٥٧ م بايعه الاباضيون خارج مدينة طراباس على ان يحكم بينهم بما انزل الله وبسنة رسول الله ثم دخل المدينة بلا حرب ودانت له البلاد طائعة مختارة لما شاع عنه وذاع من الرفق بالرعية والعدل في الحكم بين الناس فعظم شأنه فيهم وامتد سلطانه شرقا الى برقة وغربا الى القيروان وجنوبا الى نزان . وكان منصورا في جميع حروبه كالتي دارت رحاها لتطهير البلاد من ادران الفوضى والفساد مثل قمعه لورفجومة القبيلة الجسيمة التي اخذت القيروان من عامل الامويين واسرف رجالها في البلد بالظلم والقتل والسلب والنهب وانتهاك الحرمات والاعراض تحت سمع وبصر زعيمهم عاصم بن جميل وما تركوا منكرا الا اتوه ولم يسلم من فسادهم حتى المسجد الجامع فادخلوا دوابهم فيه فلم يسع هذا الامام العظيم الا الاجابة لنداء اهل القيروان واستغاثاتهم المهيجة الى جهاد هؤلاء المفسدين في الارض فأسرع الى القضاء على فسادهم واراح الناس من عتوهم فاطمأنوا على اموالهم واعراضهم وسكن روعهم ثم عين واليا عليهم عبد الرحمن ابن رستم وعاد الى طراباس مقر امامته وهكذا كان النصر حليفه مرارا في حروبه على الحدود الشرقية لرد هجمات العباسيين المتكررة وقد بلغ عدد القتلى من

جيوش بني العباس في احدى الوقائع التي هزمهم فيها ابو الخطاب ستة عشر الفا ولم يخنه الحظ الا في التي مات فيها رحمه الله بتاورغا سنة ١٤٤ هـ و ٧٦١ م وعدد الموتى من رجاله اثنا عشر الفا او يزيدون وسبب الهزيمة مبسوط في المطولات . وعلى اثر موته فر واليه على القيروان عبد الرحمن بن رستم الى المغرب حيث تلقاه الموافقون له بمزيد الاكرام والاجلال وبعد فترة من الوقت بايعوه بالخلافة واسسوا مدينة تيهرت التي سار بذكرها الركبان وعدها المؤرخون من اعظم عواصم ذلك العصر واعمرها وارقاها واكثرها يسرا ورخاء وسماها الكثير منهم (عراق المغرب) والبعض (بلخ المغرب) واطنبوا في مدحها بما يليق بعظمتها

امامة ابي حاتم يعقوب بن حبيب

في سنة ١٥٤ هـ و ٧٧٠ م بايعت الاباضية الامام ابا حاتم يعقوب فشمر عن ساعد الجد وبادر الى قمع المفسدين واخضاع الفوضويين من البربر وساس الامة بالعدل والاحسان وملك طرابلس في اقرب من لمح البصر ولبث فيها اشهرا ثم توجه الى القيروان فملكها بعد جهاد طويل واخرج منها ابن الاشعث واستعمل عليها عبد العزيز بن السمح ومنها سار الى الحدود الشرقية لمواجهة الجيوش العباسية ورد حملاتهم فكانت بين الفريقين حروب حامية الوطيس شديدة الوقع وبعد مد وجزر وكر وفر دارت الدائرة على ابي حاتم فاعتصم بجبال نفوسة مفلول الجيش . وقبل ان يستجمع قواه ويسترد نشاطه عاجله العباسيون فالتحم معهم بقليل من بقايا جيشه قريبا من ظاهر القلعة وكملة فهزموه وقتل فيمن قتلوه ودفن بالموضع الذي لا يزال معروفا واقيمت على قبره روضة والناس الى اليوم يتبركون بزيارة ضريحه عليه رحمة الله . وكان ذلك سنة ١٥٥ هـ و ٧٧١ م على ما قيل . فتكون مدة امامته سنة واحدة فقط . والظاهر ان الواقع غير هذا بل الصحيح لا بد وان تكون مدته اكثر من السنة والسنتين بكثير جدا لان

التاريخ يحدثنا انه بقي محاصرا لمدينة القيروان وحدها نحوا من سنة او سنتين فكيف يتصور هذا مع ان المؤرخين فضلا عن ذلك ذكروا له وقائع عديدة شرقا وغربا وشمالا كانله النصر فيها حليفا وذكروا انعساكره كانت تعد بمئات الالوف من المشاة وعشرات الالوف من الفرسان . ولا يخفى ان حشد مثل هذه الجحافل وتحويلها ونقل معداتها من مكان الى مكان بعيد عنه بمراحل واسابيع ليس بالامر السهل الهين في ذلك الوقت المفقودة فيهوسائط النقل السريعة فليتأمل

حملة العلم الى المغرب

من السابقين الى نشر الدعوة الاباضية سلمة بن سعد وهو الذي شوق بربر المغرب الى شد الرحال والتوجه الى المشرق لتلقى العلوم من الامام ابي عبيدة المتقدم الذكر فرحل اليه على هذه النية عاصم السدراتي واسماعيل بن درار الغدامسي وابو داود القبلي النفزاوي وعادوا حاملين لقب حملة العلم الى المغرب يشاركهم في هذا اللقب الشريف ابو الخطاب الذي تولى الامامة على نحو ما تقدم وعبد الرحمن بن رستم الفارسي الذي صار قاضيا ثم عاملا لابي الخطاب والذي اسس الخلافة الاباضية بتيهرت كما سيأتي شرحه هنا واما تراجم هؤلاء وذكر كراماتهم هم وغيرهم من فضلاء الرجال الكثيرين من اهل المذهب . فليس من وظيفة هذا المختصر فابراجع غيره من المطولات من يهمه الوقوف عليها كسير الشماخي وسير نفوسة القديم فانه يرى ما يبهره

خلافة بني رستم بتيهرت

الفترة التي بين فرار الامام عبد الرحمن من القيروان سنة موت امامه وبين تاريخ مبايعته بالخلافة رسميا بتهرت هي شبيهة بغيرها من الفترات المجهولة الحوادث مثل التي بين حدوث نفس المذهب الاباضي بالمغرب وامتلاك الحارث وعبد الجبار لطرابلس ثم مبايعة ابي الخطاب بنحو تسع سنين ومن بعده مبايعة ابي حاتم باكثر من ذلك فالظاهر انه لا يتسنى لاي باحث كائن من كان ان يظفر بشيء يمكنه من العلم بما وقع في هذه الفترات بوجه مفصل حتى يصل الحوادث بعضها ببعض لتأخذ شكلا مرتبا مضبوطا . هذا ونعود الى تلخيص الخلافة الاباضية بتيهرت ءاسفين على ما فرط فيه الاوائل او بالاحرى ما اتلفته الحوادث واستصفته الكوارث ولا حول ولا قوة الا بالله

الامام عبد الرحمن

هو عبد الرحمن بن رستم بن بهرام بن سام بن كسرى انو شروان الملك الفارسي المشهور على ما قاله غير واحد . تقدم انه لما سمع بانكسار ابي الخطاب وموته هرب من القيروان الى المغرب ويقال ان عبد الرحمن لما خرج هاربا من القيران لم يصحبه الا ابنه عبد الوهاب ومماوك له وساروا في طريقهم يتناوب الابن والعبد حمل ذات الشيخ او متاعه الى ان وصلوا جبلا يسمى (سوفجج) والظاهر انه كان عامرا بالاباضية او كانوا قريبين منه وكان جبلا منيعا صعب المرتقى فاعتصموا به مرتقبين لحوق بش ابي الاشعث فكان ما توقعوا وجاءهم بجيش كثيف طوق به الجبل من جوانبه وظل محاصرا اياهم مدة من الزمن فلم يحصل على شيء فعاد بخفي حنين بعد ان فقد مئات من رجاله بفعل الحمى وغيرها

قائلا ان سوفجج لا يدخله الا دارع ومدجج ثم ان عبد الرحمن ومن التف حوله من الوجوه والاعيان قرروا الرحيل الى المغرب الاوسط (الجزائر) حيث القى العصا بين جموع الاباضية من نفوسة وهوارة ومزاته وغيرها فاختاروا لتأسيس المدينة موضعا تكتنف اطرافه القبائل المذكورة وكان غابة تقطنها السباع والوحوش فخرجت منها باذن الله تحمل اولادها في افواهها فبنوا به (تيهرت) الفيحاء دار العدل والمدنية والعلم والعمران فيما بعد

مبايعة الامام عبد الرحمن بالخلافة

في سنة ١٦٠ هـ الموافق لسنة ٧٧٦ م بويع الامام عبد الرحمن بن رستم بالخلافة فتولاها بما عهد فيه وعرف به من الهمة والنشاط والصبر على الشدائد والزهد في الدنيا والحكم بالكتاب والسنة فاقام الحدود وبالغ في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كما هو شأن الملوك العادلين اولي الاستقامة في الدين والاخلاص للامة فانتشر عدله وعم الرعية فضله وذاع في الآفاق صيته بما شمل المملكة من الامن والعدل فتوافد الناس من كل حدب وسهل الى الاحتماء بحماه والسكنى بلد زانه عدله وامنه وهما ضالة كل انسان يطلب الحياة الهنيئة في هذه الدنيا . ولتأييده على اقامة العدل وتوطيد الملك وبث الراحة والطمانية ارسل اليه المشارقة اعانتين من وافر اموالهم كل منهما في وقت غير الآخر مع رسل امناء لابلاغهما وللوقوف على الحالة التي عليها الامام من حيث العدل والامن والدين والاستقامة فاما الاولى فقبلها لان الدولة لم تزل في دور التكوين والضعف فهي في حاجة ماسة الى ما يأخذ بناصرها ويقوي دعائمها . والمال قوام الاعمال . ولا حاجة الى التنبيه بان قبول الاعانة انما كان بعد استشارة الامام لذوي الرأي من رجاله لان هذه القاعدة (الشورى) هي اساس الحكم وحجره الاساسي في مذهب الاباضية . وقد عاد الرسل وألسنتهم تلهج بالثناء على سيرة الامام من جميع نواحيها

واما الاعانة الثانية فلم يقبلها واعتذر للرسل الذين جاءوا بها بانه في غنى عنها نظرا لتوفر الدخل وكثر الوارد على الخزينة من الاموال الناشئة عن الخصب العام واتساع رقعة العمران ونمو الخيرات . فشق على رسل الشرق ان يردوا المال بعد ما لاقوا في سبيله من مشاق واهوال وعبثا حاولوا اقناع الامام بوجوب قبوله وكلما الحوا عليه لم يجدهم ذلك لانه في الواقع لم يأمر برده الا بعد المشورة لاهل الحل والعقد . واستمر رحمه الله على ما عليه من زهد في الدنيا وتواضع لله . سالكا مسلك الخلفاء الراشدين الذين سبقوه في امارة المؤمنين سواء بالمشرق ام بالمغرب رحمهم الله الى ان وافاه الاجل المحتوم والناس عنه راضون وعلى امامته متفقون وكان ذلك سنة ١٧١ هـ ٧٨٧ م

خلافة الامام عبدالوهاب بن عبد الرحمن

تولى عبد الوهاب الخلافة على اثر وفاة والده العظيم بالاجماع او بالاكثرية الساحقة وقد رشح ابوه رحمه الله سبعة رجال من مشاهير القوم وخيارهم وجعلها شورى بينهم ومنهم هذا الامام ومسعود الاندلسي ويزيد بن فندين اليفرني وكان هذان الفاضلان في مقدمة المبايعين له الا ان كلا منهما لصاحبه على طرفي نقيض في سلوكه . وذلك لان مسعودا اظهر من الوفاء والولاء للامام عبدالوهاب ما لا مزيد عليه لمستزيد مع ان العامة كانت تؤثره حتى على عبد الوهاب نفسه لولا انه توارى عن الانظار الى ان تحقق انهم ولوا وجوههم عنه وهرعوا الى مبايعة عبد الوهاب فبادر الى تقديم البيعة له ووفى وله الفضل . اما ابن فندين فاظهر من الخلاف على الامام بعد البيعة ما به اضحى رأس الناقمين عليه والشهاب الموقد للفتنة العظيمة التي اضطر الامام الى قمعها بامتشاق الحسام وخوض غمار الحروب الشديدة لاجل اطفائها . ذلك لان ابن فندين استعان على اضرامها بوسائل دينية استغفل بها فريقا كبيرا من العامة واستخفهم اليها فاصبح اطفاؤها ليس بالامر

الهين وما توفق الامام الى القضاء عليها الا بعد سفك دماء غزيرة وكان عدد ضحايا هذه الفتنة لا يقل عن عشرين الف من الطرفين من بينهم رأس الفتنة يزيد بن فندين .

سبب خلاف ابن فندين وموافقة شعيب

السبب الوحيد الرئيسي لفتنته وخلافه هو حب الرئاسة والتوظيف في مناصب الدولة الا انه في الظاهر جعل وسيلة اخرى لاثارة الفتنة والتلبيس على من اتبعه وهي المطالبة باقامة هيئة استشارية لا يصدر الامام في امر من الامور الا عن رأيها ثم تدرج واستدرج من وافقه الى انكار امامة الامام عبد الوهاب من اصلها بدعوى از في المسلمين من هو اعلم منه فاستصوب رأيه من استصوب وسفهه الاكثرون وأدى ذلك الى استفتاء الفريقين احد الامامين الربيع بن حبيب او ابي عبيدة مسلم ومن بالمشرق من اكابر الاباضية وفقهائهم ومنهم شعيب المصري فجاء الرد بموافقة ما عليه الجمهور من تصويب الإمام وتخطئة ابن فندين وشيعته . الا شعيبا فانه بعد ان وافق الجمهور في صحة امامة الامام ووجوب طاعته عاد في رأيه ونكص على عقبيه وحدثته افكاره باغتنام فرصة الافتراق لترشيح نفسه الى مقام الامامة بتيهرت فرحل اليها مسرعا بالرغم عن نهى رجالات مصر الاباضيين وطوى تلك المسافات الشاسعة على ما قيل في عشرين مرحلة مواصلا الليل بالنهار . فاجتمع بالامام ثم بابن فندين وأيده فيما تمسك به وصار تابعا له غير متبوع واخيرا قضى الامام على الفتنة وعاد شعيب الى وطنه يحمل سهمه من اثم الفتنة ووزر الطعن في الامام العادل . وابن فندين هذا هو رأس الفرقة النكارية من الاباضية ويسمون مستاوة وقد سموا بالنكار لانهم انكروا امامة الامام عبد الوهاب واكبر فقهائهم عبد الله بن يزيد وامر الذين ايدوا عبد الوهاب وصوبوا امامته سموا وهبية (الصواب ان يسموا وهابية) وهم جمهور اباضية المغرب .

خروج خلف بن السمح بن الامام ابى الخطاب وسببه

وممن خالف الامام عبد الوهاب خلف بن السمح . كان والده السمح وزيرا للامام ثم واليا عاما له على جبال نفوسة وما يليها الى ضواحي طرابلس وقابس وكان في طاعة الامام ورضاه الى ان مات رحمه الله فتسارع كثير من العامة الى مبايعة ابنه خلف وأيدهم في ذلك بعض الاعيان بنية الاستقلال عن الامامة العظمى بحجة انهم مفصولون عنها بمخالفيهم وانهم في قوة تغنيهم عن التبعية لها... وبعد اخذ الرسائل وردها بين الامام وبين وجهاء الجبل وصلحائه صمم الامام على عزل خلف وتولية غيره من اهل الفضل . فنشبت بين خلف الثائر وولاة الامام حروب طويلة . وقد ثبت هو واتباعه على عصيانهم بالرغم من تخطية من استفتوه من ائمة المشرق فيما اتاه من مخالفة متبوعه الشرعي الامام وكانت الحرب سجالا بينه وبين الولاة ايوب بن العباس وابي عبيدة عبد الحميد الجناوني الذي جدد له الولاية الامام افلح حينما تولى الخلافة بعد ابيه والذي تمكن بعد ذلك من قهر خلف في موقعة هي من الغرابة بمكان لان جيش خلف يقدر بنحو اربعين الفا واما جيش ابي عبيدة فلا يتجاوز عدده ٣١٣ على رواية او سبعمائة على رواية اخرى وتاريخ الموقعة سنة ٢٢١ هـ ٨٣٥ م ومن بعدها اخذ امر خلف في الضعف والادبار . ولكن القضاء على ثورته لم يتم نهائيا الا على يد العباس بن ايوب الذي تولى حكم الجبل بعهد من الامام افلح بعد وفات ابي عبيدة فتعقب خلفا وشتت شمل من بقي من اصحابه فتفرقوا ايدى سبا ومات بعد جهاد عنيف في سبيل امنيته وفر ابنه الى جزيرة جربة واليه تنسب الخلفية . ومن تامل في امره وامر اتباعه يظهر له ان خلافهم كخلاف ابن فندين ليس دينيا بل هو سياسي محض لا يخرجهم عن الاباضية في الاعتقاد بشيء . وفي زمن هذا الامام خرجت عن طاعته الواصلية وبعض قبائل من البربر في

الولايات القريبة من تيهرت فاخضعها وعادت الى الطاعة والانقياد وساد الامن وعم الرخاء وعظمت الثروة الى حد بعيد .

اشهر المثريين في زمن هذا الامام

يظهر ان الثروة بلغت شاوا بعيدا جريا على سنن تقدم البلاد في المدنية والعمران بسبب الامن والعدل والحرية . وللاستدلال على نموها العظيم في الاوساط الاهلية الرستمية على عهده نذكر ان يبيب بن زلغين المزاتي كان يملك من صنف الابل ثلاثين الفا ومن الغنم ثلاثمائة الف ومن الحمير ١٢ الف ولا شك ان ما ذكروه من هذه الاصناف هو بعض من ثروته العظيمة وقد قال الامام في هذا المعنى لو لاي ومحمد بن جرنى ويبيب بن زلغين لخرب بيت مال المسلمين انا فالذهب ومحمد بالحرث ويبيب بالانعام . وقول الامام لخرب بيت المال ليس له مفهوم وانما المراد منه امتياز هؤلاء الثلاثة بالثروة الطائلة وتفوقهم الهائل على غيرهم ومن هذا القبيل قوله ما اقيم هذا الدين الا بسيوف نفوسنة واموال مزاته . ولنقتصر من اخباره على هذا القدر . ومن اراد الوقوف على احواله ومن اشتهر من رجال السيف والقلم والعلم والادب في عصره بوجه مفصل فعليه ان يطلبها من المطولات : كالازهار ، والسير وغيرهما من كتب الموافقين والمخالفين المنصفين وقد توفاه الله عليه الرحمة والرضوان في سنة ١٩٠ هـ و ٨٠٥ م وعلى اثر وفاته تولى الخلافة ابنه افلح .

خلافة الامام افلح بن عبد الوهاب

بويع بالخلافة بعد موت والده المرحوم وسار في العدل والاحسان سيرته وعنى ببسط الامن في البلاد واهتم بترقيتها وسعادتها الاهتمام كله فتقدمت تقدما سريعا وفي عهده وصلت الدولة الى اوج عظمتها وبلغت في السؤدد منتهى

العز والترف . فقد ابتنى اناغنياء القصور الضخمة واتخذوا الضياع الواسعة واستكثروا من العبيد والحشم واتسع نطاق التجارة اتساعا عظيما الى حد ان بعض التجار كان يملك سوقا قائمة بنفسها وعلى عهده كثر المسافرون الى السودان عن طريق الصحراء للاتجار واستجلاب التبر وضربه دراهم ودنانير للتعامل واتخاذه حليا وبقي سلطان هذا الامام ممتدا الى حيث الحدود التي وصلته المملكة على عهد والده ولم يخالفه بتيهرت احد في امر ونهي بسبب ما مهد له والده وبما اقامه هو من عدل ورأفة واجتهاد في كل ما يعود على الامة بالسعادة والرفاهية مع ما اتصف به من اخلاق عالية وعلم واسع وصدر رحب ومحافظة على الدين والحكم بالكتاب والسنة والقيام بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر الى غير ذلك من الشعائر الاسلامية الواجب صيانتها . وقد استمر بالجبل خلاف ابن السمح الى عهده وقد تقدم انه قضي عليه نهائيا عامله العباس بن ايوب رحمه الله .

خلاف نفات بن نصر

ان فرجا النفوسي المعروف بنفات بن نصر قد اظهر مخالفة الامام افلح لعين السبب الذي خالف به ابن فندين وابن السمح وهو الطمع في الوظائف الحكومية وذلك ان الامام عين سعد بن ابي يونس وسليم التمزيني عاملا على قنطرارة (يتمى) واما نفات فلم يعينه في شيء مع انه كان رفيقا لسعد في طلب العلم بتيهرت وكان يعتقد في نفسه انه اعلم منه واقدر على ادارة الشؤون . فغاظه من الامام هذا التصرف واثار في نفسه الحقد والغيرة تفضيله سعدا عليه فانتحل مسائل لنفسه واتخذها مطية لخلافه الطائش . فمنها انكاره الخطبة في الجمعة مدعيا انها بدعة وضلال ومنها انكاره استعمال الامام العمال والسعاة لجباية الحقوق الشرعية . ومنها قوله ان الاخ الشقيق احق بالميراث من الاخ لـلاب . ومنهـا

قوله ان المضطر بالجوع لا يمضي بيع ماله اذا باعه لاجل ذلك وعلى من شهد مضرته تنجيته . ومنها قوله ان الفقد لا يتحقق الا فيمن تجاوز البحر . وقد كان عالما ذكي الفؤاد الا ان قوة الحكومة ومكانة الامام في الامة كانتا من اعظم الاسباب في احباط مساعيه وعدم توفقه . فلم يستطع ان يوقد نار الحرب كسلفيه يزيد وخلف . وقد تولى نفس الامام نصيحته برسائل طويلة الذيل بليغة التركيب تنطق بعلو كعب الامام في علوم الدين والسياسة والادب واللغة يحذره فيها من سوء العاقبة ان لم يتب من ضلاله واضلاله . واخيرا انذره على لسان ولاته بانزال صارم العقاب ان لم يرتدع عن غيه . فخاف وتوقع شرا ان هو بقي على اصراره فتوجه الى الديار الشرقية ثم قصد « بغداد » عاصمة بني العباس فما لبث ان حظي لدى حكومتها بسبب حله معضلة استعصت على علماء بغداد وتعذر حلها عليهم وكان غزير العلم مفرط الذكاء . وبهذا ايضا تمكن من نسخ ديوان الامام جابر بن زيد الموجود يومئذ بمكتبة بغداد باذن الخليفة العباسي (ولعله المامون) فان الامام افلح يعاصر ستة من خلفائهم من الرشيد الى المتوكل وقد تم له نسخ الديوان في ايام معدودات مع انه في عشرة اجزاء لكن الخطب سهل فان نفاتا كان من اغنياء الناس فاستأجر عددا عديدا من حذاق الخطاطين ويقال ان الجزء العاشر لم يكتبه لان المدة المرخص له فيها قد انتهت وانما استصدر امرا اخر في المرور عليه سردا فنقله في راسه حفظا وعاد الى الجبل يحمل معه هذا الكنز الثمين الا ان خبث نيته وسوء سريرته حملاه على دفن الكتاب واخفائه قبل ان يصل الوطن اذ علم ان الامام لم ينقص من نفوذه شيء بل زادت دولته قوة وملكه توطدا ورسوخا . ولم يظهر الخلاف نفاتا اثر بعد رجوعه من الشرق وكأنه لما وجد الدولة قوية الجانب هاب الخلاف وجنح الى السكون لى ان مات وقيل تاب قبل موته . واليه تنسب النفاتية يومئذ . اما الان فلا اثر

لوجودهم ولا لغيرهم من النكار والخلفية . وما اطول الكلام على شخص الامام نفسه المعدود من فحول العلماء والادباء والشعراء فضلا عن كونه ملكا هماما سياسيا ضليعا ادار الامامة بكياسة ومهارة وعدالة نصف قرن وفي رواية ستين عاما عليه رحمة الله .

خلافة الامام ابي بكر بن افلح

ولي الخلافة هذا الامام في سنة ٢٤٠ هـ و ٨٥٤ م وهي السنة التي مات فيها والده العظيم وقد حملوه اعباء الخلافة مع قلة كفاءته لان اخاه ابا اليقظان الذي هو اقدر منه على ادارة شئونها قد توجه الى الديار المقدسة لاداء فريضة الحج فقبض عليه ولاة بني العباس وارسلوه الى بغداد فاودعوه السجن رفقة اخ الخليفة (الرفيق هو المتوكل) لانه كان مغضوبا عليه من اخيه الواثق الجالس وقتئذ على العرش وقد اجرى الواثق على الرفيقين راتبا يوميا قدره ١٢٠ درهما لكل واحد منهم فانعقدت بينهما الصداقة التي كانت السبب في ترك سبيل ابي اليقظان ثم الاذن له في العود الى بلاده بعد ما ارتقى العرش رفيقه بمدة . وقد صح ان الامام ابا بكر لم يحسن الادارة كاسلافه ولا كان دينا عادلا يقظا كآبائه بل انغمس في الترف والنعيم ومال الى السرف والراحة واللهو واسلم مقاليد الخلافة لصهره محمد بن عرفة احد الاعيان المحترمين المعدود من اجود الناس يدا وابهاهم خلقا وخلقا استمال كثيرا من قلوب الرعية فمالوا اليه قلبا وقالبا واستبد على الامام بالامر الى درجة اغاضت البيت المالك وايقظت الامام فحسن له بعضهم الفتك بابن عرفه فصوبه وتم له ذلك بطريقة سرية ولكنها اكتشفت فاضرم قتله فتنة عظيمة الخطر شديدة البلوى كادت تهلك الحرث والنسل لولا ان تداركه الله بعودة ابي اليقظان من الشرق فبايعوه في الحال وبعد مشاق واهوال اعاد المياه الى مجاريها والامر الى نصابه .

خلافة الامام ابي اليقظان محمد بن افلح

بويع بالخلافة ابو اليقظان سنة ٢٤١ هـ ٨٥٥ م تقريبا قيل بعد موت اخيه ابي بكر وقيل بتسليم منه اليه فكان اماما فحلا وشهما عظيما بكل ما تؤديه هذه الكلمة من معنى عادلا عدل الخلفاء الراشدين من قبله مصلحا اصلاح من لا ينسى نصيبه من الدنيا ولا يغفل عما تتطلبه الحياة الاخرى من الزاد والعمل والتقوى والورع . بويع هذا الامام وكانت الاحوال على اشد ما يتصور من الاضطراب والفوضى فقد استحكمت حلقات الفتنة في اغلب اطراف المملكة فمن ابن عرفة الى ابن مسالة الى غيرهما من دعاة الثورة وطلاب الشهرة . لكن عزيمة هذا الرجل العظيم وقوة ارادته وثقته بالله وبنفسه تغلبت على هذه المصائب كلها فشمر لها عن ساعد الجد وجيش الجيوش واستنجد بجبال نفوسة فانجدوه بجيش كثيف ثم حمل بهم على اتباع ابن عرفة قتيل اخيه حملات صادقة متتابعة الى ان اخضعهم واخمد فتنتهم ثم كر على محمد بن مسالة الاباضي الذي استولى على العاصمة (تيهرت) وتحصن فيها فلم يخرجه الامام منها الا بعد قتال كبير وجهاد عنيف وحصار دام سبع سنين (وكان ابن مسالة قبل ذلك اميرا مستقلا غير تابع لبني رستم) ولما قهر هؤلاء البغاة وصفا له الجو ولى وجهه نحو الاصلاح والتنظيم فمهد الراحة وبسط الامن واتخذ العدل شعارا في جميع اعماله ولم يغفل حتى عن الجزارين والحمالين فاستعمل عليهم رقباء فان رأوا قصابا نفخ في شاة عاقبوه او حيوانا حمل فوق طاقته امروا صاحبه بالتخفيف عليه وهكذا الشأن في كل شيء كنظافة الشوارع والازقة وسائر المرافق العامة

حرب نفوسه لابن طولون

من اعاظم رجال الدولة في عهد الامام ابي اليقظان واليه على جبل نفوسه وملحقاته البطل الشهير ابو منصور الياس النفوسي الذي هزم العباس بن طولون هزيمة منكرة . وملخص الواقعة واسبابها . ان العباس بن احمد بن طولون في غيبة والده عن مصر حدثته نفسه بامتلاك المغرب فجهز سنة ٢٦٧ هـ و ٨٨٠ م جيشا يتألف من ٨٠٠ فارس و ١٠٠٠٠ راجل من سودان ابيه بحمل امتعتهم ٥٠٠٠ بعير واخذ من بيت مال مصر ٨٠٠ حمل دنانير وقيل ان مبلغ ما حمل من المال هو مليون دينار ومايتا الف دينار ثم زحف بهذه القوة وامتلك ما في طريقه من المدن والقرى وتغلب على جميع ما ارسله اليه بنوا الاغلب من الجيوش فازداد قوة على قوة يقهره تلك الحملات المتكررة ولعل من اكبرها واهمها واقعة لبدة فقد خصها بالذكر اذ قال متحمسا ونشوة النصر عملت في نفسه عملها .

لله دري اذا اعدو علي فرسي ❁ الى الهياج ونار الحرب تستعر
وفي يدي صارم اقر الرؤوس به ❁ في حده الموت لايبقى ولا يدر
ان كنت سائلة عني وعن خبري ❁ فها انا الليث والصمصامة الذكر
من ءال طولون اما ان سالت فما ❁ فوقي لمفتخر بالجود مفتخر
لو كنت في لبدة شاهدت ذكري اذا ❁ بالسيف اضرب والهامات تبتدر
اذا لعاينت مني ما تبادره ❁ عني الاحاديث والانباء والخبر

ثم زحف بجيوشه المنتصرة الى ان صل طرابلس فضرب عليها نطاق الحصار مدة قدرها ٤٣ يوما الى ان تعدى بعض جنوده على حرم البوادي دوهم اتباع بني رستم بمقتضى معاهدة عقدت قديما) فاستغاثوا بابي منصور وشاركهم في الاستغاثة اهل طرابلس فاغاثهم بجحفل جرار . وقبل زحفه ورد اليه كتاب تهديد من

العباس بن طولون هذا نصه . ان اقبل بسمعك وطاعتك والا وطيت بلدك بخيلي ورجلي وابحت حرمك . فاجابه ابو منصور محقرا له . قل لهذا الغلام اما انك اقرب الكفار مني واحقهم بمجاهدتي فقد بلغني من قبيح افعالك ما لا يسعني التخلف معه عن جهادك وها انا على اثر رسالتي اليك فسبحه على الاثر بنفسه في ١٢ الفا من رجال نفوسه وهزمه شر هزيمة وذهب لا يلوي على شيء وعاد ابو منصور الى الجبل تحفه الكرامة بدون ان يتلبس هو ورجاله بشيء من الاموال والذخائر التي تركها ابن طولون واستباحها الاعراب ونهبوها وبنو الاغلب وعمالهم سلبوها من الاعراب .

خلافة ابي حاتم يوسف بن ابي اليقظان

بويع هذا الامام سنة ٢٨١ هـ و٨٩٤ م . يوم وفاة ابيه بالاجماع وكان كاسلافه العظام حسن السيرة مجدا في الاصلاح مؤثرا للعدل محبا للامة رءوفا بها محسنا اليها لا يالوا جهدا فيما يعود بالخير عليها .

اهم ما حدث في زمنه بيعة عمه يعقوب

اشهر من نازعه في الامر عمه يعقوب بن افلح الذي كان مقيما بزواغه (صبراته) من نواحي طرابلس وقامه هذا كان بتشويق من بعض سكان العاصمة « تيهرت » ممن لم يرضهم الامام ببعض المناصب فاعلنوا الثورة على الامام وناجزوه الحرب واستقدموا يعقوب وبايعوه (مع ان بيعة ابي حاتم في اعناقهم) فاشتد الخطب واحتدم القتال من جديد فكانت حربا ضروسا شديدة الوقع كثيرة الضرر دامت نحوا من اربع سنين يتجاذب فيها الطرفان النصر واخيرا انتهت باندحار قوات يعقوب وفوز الامام بحقه وعاد عمه الى زواغه قارعا سن الندم على ما فرط منه

في هذه الحركة التي يقال انه تاب منها اذ لم يعرف الا بما يرضى الله والامة قبلها وبعدها وكان عالما جليلا واميرا خطيرا واسع الثروة كثير البر .

خروج الطيب بن خلب

وفي مدة هذا الامام تحرك الطيب بن خلف في حيز طرابلس والجبل لاثارة الفتنة واقتفاء اثر والده في الخروج عن الطاعة . فعهد الامام بتاديبه والقبض عليه الى ابي منصور الياس الذي جدد له الامام الولاية حين تسلمه مقاليد الامامة فصدع بالامر ووجه الى الطيب جحفلا جرارا فالتجا بمحاربيه الى زواغه وهي معقل ابيه خلف واتباعه فقصدها ابو منصور وكلم اهلها في شان تسليمه فابوا وخالفوا نصيحة احد عقلائهم فحاربهم ابو منصور وهزمهم شر هزيمة وقتل منهم بشرا كثيرا ولما كانت زواغه على البحر فقد تمكن من لم يذعن الى الطاعة من الفرار الى جزيرة جربة وفي جملتهم الطيب بن خلف فاقتفى اثرهم ابو منصور وحاصر جربة ثم دخلها سلما وقبض على الطيب واخذه مقيدا الى الجبل وحبسه مدة ثم اخرجه حيث تاب واخلص النية في الطاعة . فسمي لذلك الطيب بن الخبيث بن الطيب (لان جده السمح من أعاظم رجال الدولة الذين اشتهروا بالعدل والفضل) . وفي مدة هذا الامام توفي البطل المنصور الذي لم يهزم له جيش طول حياته ابو منصور الياس المتحدث عنه عليه رحمة الله ورضوانه .

واقعة مانو سنة ٢٨٤ هـ وسنة ٨٩٧ م

بعد وفاة ابي منصور اسند الامام ولايات نفوسه الى افلح بن العباس الذي فل سيفها البتار على يديه وذلك في واقعة وقعت قريبا من قصر مانو بين نفوسه

وبني الاغلب مات فيها من العلماء اربعمائة ومن العامة اثنا عشر الفا وسببها وتفصيل ماوقع فيها من فضائع بني الاغلب وتوحشهم المنافي للدين والانسانية تكفل ببيانهما المطولات . ومن بعد هذه الواقعة قلت الامدادات التي كانت ترسل من نفوسه الى تيهرت بل انقطعت تماما واخذت قوتهم في القهقري رويدا رويدا الى ان وصلوا في الضعف والانحطاط الى ما هم عليه الان . وكذلك امر الامامة بتيهرت فانه اخذ في الادبار والانحلال والوهن لان النفوسيين هم عدتها القوية ومادة حياتها الروحية ولله الامر من قبل ومن بعد . وفي اواخر ايام الامام تقم عليه بعض قرابته فقتلوه رحمه الله سنة ٢٩٤ هـ وسنة ٩٠٦ م ونصبوا مكانه واحدا منهم وهو اخوه اليقظان بن ابي اليقظان .

امارة اليقظان اخر من تولى من بني رستم

بعد قتل الامام المرحوم تولى الامر اخوه اليقظان بن ابي اليقظان وبقي نحوا من سنتين مهدد الجوانب مضطرب الاحوال مقطع الاوصال بعيدا عما من شانه ان يعيد الدولة الى مجدها بعد ان تمكن الضعف من قلبها النابض وتجمعت اليها اسباب الزوال والانقراض من كل جانب وقد استفحل امر الشيعة وظهر داعيتهم عبيد الله على جميع دول المغرب واماراته فلا مفر من سقوط الدولة الرسمية في قبضتهم ايضا وقد دخل عاصمتها « تيهرت » فعلا احد اعوانهم ابو عبد الله الحجاني ونهبها وقتل من ظفر به من اسرة بني رستم واستباح اموالهم وقصد المكتبة الكبرى « المعصومة » واخذ ما فيها من الكتب الرياضية والصناعية والفنية واحرق ما عدا ذلك كله ومن ثم فقد الاكثر من مؤلفات المذهب والامر لله وحده .

حال الاباضية بعد انقراض ملك بني رستم

بعد انقراض ملك بني رستم حدثت حوادث متقطعة لا انتظام لها ولكنها على كل حال تدل على ان شوكة الاباضية خصوصا بالجبل النفوسي ما زالت محترمة الجانب . ومن الشواهد على ذلك ان المعز لدين الله الفاطمي رابع الخلفاء الشيعيين لما فتح مصر : قائده جوهر : صمم على اتخاذها عاصمة لملكه بدل المهدية . فسار اليها سنة ٣٦١ هـ الموافقة سنة ٩٧١ م بجحافله مستصحبا كل نفيس من امواله وذخائره . ولما وصل طرابلس فر منه جمع من عساكره الى جبل نفوسه فطلبهم فلم يقدر عليهم . وقد قص الحكاية جماعة من المؤرخين غير الاباضية وقد حاول المعز قبل ذلك ان يعقد صلحا مع ابي خزر الحامي الاباضي على ان يعترف له بالاستقلال فابى . فحاربه وبعد عناء وجهد قهر جيشه وتغلب على اتباعه فالتجا ابو خزر الى نفوسه الجبل واميرهم اذذاك ابو زكرياء من احفاد ابي منصور . فهل هذا الا دليل من اقوى الادلة على قوة شوكتهم وانتظام امورهم والا فكيف يهابهم ملك من اعظم ملوك العالم في عصره ودولته في زهرة شبابها وعنفوان قوتها . اني لست ممن يقول ان التاريخ اهمل ذكرهم كلا كيف يكون هذا والعلم منتشر فيهم رجالا ونساء اكثر من جميع الاقوام المعاصرين لهم والمجاورين لديارهم . الا ترى الى تلك الواقعة التي مات فيها من علمائهم فقط ٤٠٠ ـ وانما اقول ما هو اقرب منه الى العقل وهو ان التاريخ « واعني به تاريخ الاباضية » لا بد وانه دون حوادثهم بانتظام وضبط ولكن النار التي اضرمها في كتبهم المتغلبون هي التي اكلت كل مفيد منها في هذا الباب وغيره من الفنون والعلوم التي لابد وان لهم مؤلفات عديدة فيها .

فان ما وقع بمكتبة تيهرت عينه وقع بمكتبتي جادو وشروس

من مدن نفوسه . والدلائل تدل على ان الجبل قد استقل حالا بعد انقراض الامامة من تيهرت واستمر محافظا على استقلاله عدة قرون اللهم الا فترات قليلة تنشا احيانا عن غارات فجائية او عن اختلافات داخلية يتخذها المتغلب وسيلة الى حكمه الموقت ولكنه حكم لا يدوم الا ريثما يتحد النفوسيون فيقذفون بالمتغلب خارج حدودهم . والتاريخ لم يذكر عن هذا الاستقلال الا شيئا قليلا من اوصافه وبعضا من امرائه بدون ضبط في الزمان ولا بيان لمدد المتولين وشكل حكوماتهم التي لا بد وان تكون شورية حسبما هو معروف من قواعد المذهب . وهذا الابهام المستمر يبتدي من انقضاء حكم الرستميين ويشتد غموضا في القرن العاشر الهجري الى ما بعده وهو القرن الذي توفي فيه صاحب السير الشيخ العلامة احمد بن سعيد الشماخي الذي ذكر في سيره مئات من العلماء الاباضيين ونسائهم الشهيرات في العلم والصلاح وعشرات من الامراء الذين حكموا الجبل . واتى بشيء كثير من فضائلهم الوافرة وكراماتهم الباهرة وافاض في تمسكم الشديد بدينهم وخضوعهم التام للحق والعدل واطنب حقا ولكن مع الاسف بدون اضافة الحوادث الى تواريخها والرجال الى زمنهم الذي وجدوا فيه . ولنكتف بذكر بعض الامراء

بعض مشاهير امراء نفوسة

منهم ابو عمر ميمون الذي ولى حكم نفوسه وعرف بالعدل وحسن السيرة والشدة في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وكان رحمه الله ورعا عفيفا الى حد بعيد ورعا عن قبول الهدايا حتى من الاجانب عن حكمه الغرباء عن بلاده يحكى انه قدم اليه بعضهم شيئا من الهدايا النفيسة ومنها ٤٠٠ دينار فاباها ونأى بجانبه عنها وكانوا اغنياء منقلين باموال التجارة السودانية وقد مروا بالجبل امنين على اموالهم فراوا ان من المروءة ان يقدموا شيئا لاميره (ولعلهم اعتادوا ذلك مع

غيره) فما كان منه الا ان رد عليهم ما قدموه. فلله ما اعمر هذه القلوب بالايمان بالله والقناعة باليسير من الرزق .

ومنهم ابو الفضل سهل فانه تولى امر نفوسه وسار سيرة ميمون في العدل والاستقامة وقد وقعت له محاربات مع المعتدين على بلاده من العرب وزناته كان النصر فيها حليفه ومنها المحاربة التي استرجع بها غدامس الى طاعته . وممن حكم نفوسه ابو يحي زكرياء الارجاني وكان كالمذكورين علما وعملا وورعا وفضلا . وفي مدته ما يشعر بانه حارب العباسيين المعبر عنهم بالمسوده (لان شعارهم السواد) وحارب العبيديين « الشيعة » وانه كان امام دفاع الخ . وقد ولوه بعد ان عزلوا بدون حدث : ابا عبد الله بن ابي عمرو بن ابي منصور الياس . وبعد موت الارجاني ولوا ابا زكرياء بن ابي عبد الله المذكور فاحسن السياسة وعدل في الحكم وسد الثغور ودام في الامارة طويلا وسادت ايامه السكينة والامن والراحة واليه التجا ابو خزر لما انكسر في حربه مع المعز الفاطمي وبقي في الحكم مدة تتراوح بين الستين عاما الى السبعين . وكل هؤلاء الامراء والملوك لا انضباط في تواريخهم وانما السياق يدل انهم كانوا كذلك في المائة الرابعة من الهجرة وفي النصف الاول من المائة الخامسة .

بعض امراء الاسرة البارونية

هؤلاء هم اجدادنا وسلفنا الصالح عليهم رحمة الله . واول من اشتهر منهم ابو هارون بن موسى الباروني استندت اليه اول الامر المشيخة العامة في عهد الامير ابي زكرياء المتقدم ذكره آنفا ثم اسندت اليه بعده الامارة وكان نفوذه شاملا سائر البلاد التابعة للجبل يومئذ الى غدامس وفزان وزله جنوبا والى سرت وغيرها شرقا والى جبل دمر (من نواحي تونس) غربا ولما انتخب للامارة انتقل من تملوشايت التي كان ينسب اليها الى بلد ابناين ام قرى ذلك الوادي

المنسوب الى كبا وفي هذا العصر فسميت البلدة باسم آل بيته الى الآن (اتبارون بالبربرية المحرفة) فسكنها نهائيا وبنى بها مسجدا لا يزال قائما الى اليوم ومدرسة . وبالجملة فقد كان كما قالوا من العلماء العاملين والزهاد المشهورين وكهفا لاهل نفوسه اجمعين . ومنهم ابنه العلامة الفحل التقي الورع الامير العادل ابو الربيع سليمان بن هارون ولي مشيخة الاسلام على عهد ابيه ثم بعد وفاته ولوه الامارة وكان اسم الشيخ في عصره اذا اطلق لا ينصرف الى احد غيره ولم ينفصل عنه هذا اللقب المحترم حتى في عهد امارته . وكان مطاع الامر نافذ القول واسع البر كثير الاحسان الى طلبة العلم وكان يتولى بنفسه تعيين امراء الجهات بعد الفحص والتثبت من كفاءتهم . ثم لا يقبل بعدئذ الطعن فيهم من اي وجيه كان . اذا فهم منه وصح لديه ان ذلك لغاية شخصية من حسد او تعصب او غيرهما كما انه لا يتسرع الى نقل المراكز وعزل العمال الا لموجب شرعي . ومما امتاز به عهده السعيد انه كان يستعمل اناسا مخصوصين لرقابة الاسواق يمنعون بيع ما لا يحل من الاموال فيها حتى لا يجد الحرام سبيلا الى الديار النفوسية واهلها . هكذا هكذا والا فلا لا . وينسبون اليه رحمه الله خوارق من الكرامات ليس هذا محل ذكرها فليراجع السير من شاء الوقوف عليها . ومن اشهر ءال الباروني في العلم والعمل ابو سليمان دود بن هارون قال الشماخي وبالجملة انه كان في ايامه تضرب اليه اكباد الابل في ايضاح كل مشكل وتفسير كل غريب وجواب كل سؤال وشهرته في التقى والورع في بلاد نفوسه بل في جميع المغرب اشهر من ان تخفى اه ووالده كذلك

ومنهم ابو عبد الله محمد بن ابي زكرياء الباروني قال في السير كان شيخا فاضلا وحاكما عادلا وكثيرا ما يكاتب ابا سليمان داود بن هارون ويستفتيه فيما يستشكل من النوازل . ومن امرائهم ابو منصور بن ابي زكرياء قال في السير كان اماما سالكا على الصراط وحاكما قاضيا بالاقساط قدموه حاكما

في جبل نفوسة وهو ايضا يستفتى في نوازله ومشكلاته ابا سليمان داود بن هارون وجوابه اليه بالتعظيم وكانت حكومته بعد ابيه .

وقد اهملنا ذكر طائفة من آل هذا البيت المبرزين في العلم والسياسة حبا في الاختصار وفرارا من التطويل ولكن على كل حال لا ينبغي ان نهمل ذكر امارة الطود الاشم الذائع الصيت ابي يحيى زكريا لما فيها من بعض حوادث هامة من الجناية على التاريخ ان نغض البصر عنها فنقول

امارة ابي يحيى زكرياء بن ابراهيم الباروني

من امجد امراء هذا البيت واعظمهم شأنا واطيبهم ذكرا الامام الفحل ابو يحيى زكرياء بن ابراهيم بن زكرياء بن ابي هارون موسى بن هارون الباروني . قال الشماخي رحمه الله . هو الغاية القصوى في العلم والعمل والامر والنهي جدد المذهب بعد ان اخلق الى ان قال : وفي ايامه رجعت بنو يفرن وككلة وبابل وتاكبال الى مذهب الوهبية وكانوا قبل ذلك مستاوة وحسنية وخلفية . اتباع خلف بن السمح واحمد بن الحسين وعبد الله بن يزيد المستاوي وهم اباضيون الا انهم انكروا امامة الامام عبد الوهاب الرستمي وقد تقدم التنبيه على مبلغ الفرق بين هؤلاء وبين جمهور الاباضية وان الخلاف سياسي اكثر من كونه دينيا وقد طابت ايام هذا الامام واشرب في قلوب امته حبه وعمهم جميعا عدله واحسانه . وكان رحمه الله ينفق انفاق من لا يخشى فقرا ويعطي عطاء ولا البرامكة مثله . وذلك من ماله الخاص لا من بيت مال المسلمين . ومن الامثلة على عظيم كرمه وواسع ثروته انه في سنة من السنين وزع على جميع اهل الجبل من ككلة الى لالوت مع كثرتهم يومئذ كثرة تفوق اضعافا مضاعفة سكانه اليوم وزع عليهم لكل نفس او لكل بيت خمسة دراهم وثمن زيت . وزاره بنو يفرن في هرمه تبركا فلما ارادوا

الوداع اعطى لكل واحد منهم عشرة دراهم وقيل قبض لكل واحد منهم قبضة فاراد ان يعطي لحاكمهم عون بن حريز ما بقي فامتنع وقال ما اتيت من بلادي اريد دنيا وانما اريد ان تدعو لي الله فدعا له قال الشماخي فبقيت سيادة بني يغرن في ذريته الى يومنا هذا ببركة الشيخ . ومما ذكره عنه انه كان بمدرسته ثمانون طالبا يدرسون العلم على نفقته وفي احدى السنوات المجدبة هموا بالرجوع الى اوطانهم رأفة بالشيخ فعلم بما عزموا عليه فمنعهم منعا باتا وافهمهم ان الامر ليس كما يظنون فاطمأنوا ورضوا بالاقامة . الى ان قال ولما مات حزن عليه اهل مذهبه وطلبته ورثاه كثير منهم بمراثي طويلة وابنه حتى ابكى الناس العلامة يوحين بن نوح الخ . وفي ايامه استفحل امر ابن غانية الميروقي الذي سبى ونهب كثيرا من الاقوام والاقاليم واحتل واستحل كثيرا من عواصم افريقيا الشمالية وحارب الجبل النفوسي مرارا ينهزم مرة وينتصر اخرى وفي احداها احرق ١٢ الفا من زيتون ـ جناون ـ الكائنة بسفح جبل جادو . ولكنه على كل حال لم يتمكن من الاستيلاء على الجبل وانما في اخر غزواته صالحوه اذ احسوا من انفسهم الضعف عن مقاومته فدفعوا له مليوني دينار وذلك في سنة ٥٩٥ تقريبا الموافقة لسنة ١١٩٨ م وهذا المبلغ وان يكن غرامة حربية يدفعها المغلوب عادة الا انه يصلح ان يكون دليلا لامعا على قوة نفوسة الجبل وثرائهم الواسع اذ لم ننقل انه اغرم اقليما بمثل هذه الغرامة او ما يقاربها على كثرة ما كان يفعله من هذا القبيل مع الامم التي تغلب عليها فسبحان من يغير ولا يتغير

اصل العائلة البارونية واستمرار نفعها

لا يوجد في المتنورين من اهل الجبل وغير الجبل من يجهل مكانة البيت البارواني وان اصله من الجبل الاخضر بعمان وانه من امجد بيوتات الفضل والزعامة في ذلك القطر العامر وان ابناء فروعه القائمة هناك ما زالوا ممن يشار

اليهم بالبنان وتسند اليهم مقاليد الاقاليم بمملكة عمان من بلاد العرب وزنجبار ودار السلام من افريقيا الشرقية . اما الفرع الذي استوطن الجبل فقد ظهر ذكره وذاع صيته فيما بين اواخر القرن الرابع الهجري واوائل القرن الخامس . وعند ما ذكر صاحب السير ابا هرون الاول ذكر معه احد العلماء الاعلام المعاصرين له قائلا هو صنو ابي هرون في العلم لا في النسب الخ . ومعلوم ان هذا الاحتراز لم يكن الا لوجود بون شاسع بين المذكورين بحيث لا يسعه الغض عن بيان الفارق بينهما . هذا ولا يصح ما حادثني به مرة احد الافاضل البحاثين من علماء القطر الطرابلسي في اصل نسبنا ءال الباروني وتعليل تسميته . اذ قال ممازحا جادا ان الذي يظهر لي ان اصلكم من اشراف الرومان او الطليان الذين استوطنوا الجبل قديما والذين يحملون لقب (بارون) فغلب بعد ذلك على العائلة وصار علما عليها الى ان ظهر الاسلام فاسلمت العائلة تحمل معها لقبها الموروث ومجدها المحفوظ بين قبائل نفوسة قبل الاسلام وبعده . فقلت له هذا استظهار جميل وتعليل معقول . ولكنه غير صحيح . ولنكتف من ذكر ءال الباروني باولئك الافذاذ الاماجد مشيرين الى ان نفع الاسرة البارونية لاهل الجبل دينا ودنيا لم يزل متواترا ابا عن جد منحدرا من الاصول الى الفروع الى الان وما برح ينبوعا فياضا بالمعارف على ساكني الجبل النفوسي من اول القرن الخامس الهجري الى يومنا هذا لا يزاحمه في ذلك اي بيت من بيوت المجد اللهم الا ءال ابي منصور في الاول وفي اوقات متقطعة بعد ذلك او ءال الشماخي الذين منهم الامام الشيخ عامر صاحب التصانيف العديدة والشيخ ابو محمد عبد الله بن عبد الواحد والشيخ احمد صاحب السير وغيره من المؤلفات فانهم جاذبوا اجدادنا الطرف من الوجهة الدينية ابتداء من القرن الثامن الى منتصف القرن الثاني عشر فقط ثم فشا الجهل في الشماخيين وانفرد البارونيون بالتقدم الديني والمدني كاسلافهم ولله الامر من قبل ومن بعد

انتشار المذهب الاباضي بعمان والاقطار الشرقية

ان انتشار مذهب الاباضية ببلاد الشرق عمان وخرسان والعراق ومصر وغيرها اقدم عهدا من انتشاره بالمغرب كيف وامام المذهب جابر بن زيد نفسه من ذلك القطر (عمان) السابق الى اعتناق الاسلام بدون حرب ولا عناء . واذ قد تقلص ظل المذهب الاباضي من اغلب الاقطار الشرقية ولم ترسخ دعائمه وتتوطد اركانه الا في عمان ومستعمرات عمان فلنأت اذا بخلاصة من تاريخ عمان من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليوم لخصها احد علمائه الاجلاء الشيخ محمد بن صالح بن عامر الطيواني ونشرت بمجلة « المنهاج » الغراء وساضيف بعض ما كتبه غيره ليكون كالشرح لما يلزم شرحه منها قال :

بسم الله الرحمن الرحيم

« هذه نبذة من تاريخ عمان »

ظهر النبي صلى الله عليه وسلم وعلى عمان عبد وجيفر ابنا الجلندا ملكين عليها فبعث النبيء صلى الله عليه وسلم اليها عمرو بن العاص وبعث معه كتابا لهما ذكر في كتب التاريخ فذهب عمرو بالكتاب حتى وصل صحار قصبة عمان وقتئذ وبعث الى ابني الجلندا بالكتاب واجتمع بهما بعد ذلك فدعاهما الى الاسلام بعد مناقشة جرت فاسلما طوعا وانقيادا ودعيا قومهما الى الاسلام فاسلموا جميعا وسلموا له الصدقات فلم يزل عمرو مقيما بعمان الى ان بلغه خبر وفاة النبيء صلى الله عليه وسلم فرجع الى المدينة وصحبه عبد بن الجلندا ومعه اعيان عمان فقدموا على ابي بكر رضي الله عنه ففرح بمقدمهم واثنى عليهم خيرا وعلى انقيادهم واذعانهم الى الاسلام بدون حرب ولا قتال فاقرهما ابو بكر على قومهما ولم يزالا ملكي عمان الى ان ماتا في خلافة عثمان بن عفان فولى عثمان بعدهما عباد بن عبد بن الجلندا

ولم يزل ملكا في قومه حتى مات في خلافة علي بن ابي طالب : فلما افضى الملك الى معاوية لم يكن له في عمان سلطان ولا لمن بعده الى ايام عبد الملك فانه لما ولى الحجاج العراق رغب في الاستيلاء على عمان فلم يزل يجهز الجيوش اليها وفي النهاية استولى عليها بقيادة مجاعة بن شعوة وهرب ملكا عمان سليمان وسعيد ابنا عباد بذراريهم الى بلاد الزنج . ولاهل عمان في حرب الفرس ايام الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه اليد الطولى ومشاغلتهم لهم . منها وقعة جاش التي قتل فيها شهرك احد قواد الملك يزدجرد وبعد استيلاء الحجاج عليها لم تزل تحت النفوذ الاموي الى ايام ابي جعفر المنصور حيث استقل اهل عمان ببلادهم فعقدوا الامامة للجلندا بن مسعود وهو اول امام بعمان وذلك سنة ١٤٣ هـ وسنة ٧٦٠ م . ثم ان ابا جعفر المنصور جهز جيشا تحت قيادة خازم بن خزيمة فتلقاه الامام الجلندا براس الخيمة المعروفة بالصير والتقى الجيشان هناك وقتل الجلندا ورجع خازم برأس الجلندا الى المنصور ولم يحدث شيئا بعمان ثم عقدوا الامامة لمحمد ابن عفان فعزل واقروا مكانه الوارث بن كعب الخروصي سنة ١٧٧ هـ وسنة ٧٩٣ م فجهز هرون الرشيد الى عمان جيشا بقيادة عيسى بن جعفر بن المنصور فتلقاه اهل عمان بوادي حتى (واد بأعلى صحار) فأسروا عيسى وهزموا جيشه فبقي الوارث اماما بعمان اثني عشر سنة وستة اشهر ثم نصب اهل عمان بعده غسان ابن عبد الله اماما فبقي اماما الى ان مات سنة ٢٠٧ هـ وسنة ٨٢٢ م وكانت امامته خمسة عشر عاما وسبعة اشهر وثمانية ايام . ثم عقدوا الامامة لعبد الملك بن حميد سنة ٢٠٨ هـ وسنة ٨٢٣ م ومكث اماما ثمانية عشر عاما وتوفى . ثم عقدوا الامامة لمهنا بن جيفر سنة ٢٢٦ هـ وسنة ٨٤٢ م ومات سنة ٢٣٧ هـ وسنة ٨٥١ م فكانت امامته عشرة اعوام واشهرا . ثم عقدوها للصلت بن مالك الخروصي في ذلك اليوم سنة ٢٣٧ هـ فكانت مدة امامته على عمان ٣٥ عاما و٧ اشهر واياما وقبل وفاته اختلف

اهل عمان في خلعه فافترقوا فرقة رأت الخلع لانه صار شيخا عجز عن القيام باعباء الامامة . وفرقة لم تر ذلك فوقع بينهما القتال والشقاق فانتهز عامل المعتضد بالبحرين محمد بن نور هذه الفرصة واستأذن المعتضد بالله في فتح عمان والاستيلاء عليها . وحبب له ذلك ورغبه في الانتقام من الفرقة اليمانية وهي الفرقة الخالعة للامام وانه يشد عضد الفرقة النزارية التي حرمت الخلع فاسعفه المعتضد الى ما طلب وخرج الى عمان في جيش كثيف فانضمت اليه الفرقة النزارية فاحتل نزوى بعد وقائع واوقع بالفرقة اليمانية وقتل الامام عزان بن تميم الذي نصب بعد موت الصلت وبعث برأسه الى بغداد . فبقيت عمان اربعين عاما تحت النفوذ العباسي .

الفات نظر واعتذار

بالله تأمل وانظر الى هذا الخلاف البسيط كيف تجسم ودخله التعصب في الرأى الى حد ادى الى سفك الدماء الغزيرة والشقاق المؤلم الذي اوجب تداخل بني العباس واستغاثة احد الفريقين بعاملهم على من شاقه في الامر وخالفه في الرأي . وهذا هو الشأن في عاقبة التخاذل وسوء التفاهم فانها دائما تكون سيئة المصير وخيمة المآل : يشهد لذلك قول الله عز وجل : ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم . هذا واعلم انه ليس بايدينا من المادة ما نتكل عليه في ذكر مآثر كل امام من هؤلاء الائمة الاعلام وما كانت عليه ايامه من امن وعدل ورقي وعلم . وانما يمكن ان نقول « استنادا الى قواعد المذهب في انتخاب الائمة » ان سيرة هؤلاء وسلوكهم في اعمالهم الادارية واحكامهم القضائية لا تكون الا وفق الشرع الحنيف وطبق ما عليه الخلفاء الراشدون من السلف الصالح في كل ما يؤيد الدين وينصر الحق اه .

قال الشيخ : ثم اجتمع رأي اهل عمان وعقدوا الامامة لسعيد بن عبد الله

القرشي سنة ٣٠٠ هـ وسنة ٩١٢ م وحرروا انفسهم ثم قتل الامام سعيد في سنة ٣٢٨ في فتنة اهلية فعقدوا الامامة لراشد بن الوليد

تنازع الامامة الشرعية والملكية المطلقة

وفي ايام الامام راشد المذكور ظهرت بعمان دولة بني نبهان وهم بطن من الازد فغلب هؤلاء على ازمة الامور واسقطوا الامامة بعمان وجعلوها ملكا الى سنة ٤٤٥ هـ وسنة ١٠٥٣ م حيث عقدوا الامامة للخليل بن شاذان الخروصي ثم من بعده راشد بن سعيد ومات سنة ٥١٣ ثم تغلب بنو نبهان مرة اخرى على عمان . وفي ايامهم استولت دولة آل بويه على سواحل عمان ثم غلب بنو نبهان على السواحل واجلوا منها العجم . وفي سنة ٨٨٥ هـ وسنة ١٤٨٠ م عقدوا الامامة لعمر بن الخطاب الخروصي ثم غلب عليه بنو نبهان وظل الحال هكذا الملك النبهاني بجهة والامام بجهة . وفي خلال هذه الاعوام استولت دولة البرتغال على سواحل عمان كلها وحصنت مدينة مسقط وعمرتها وجعلتها بندرا حربيا لها فتم بذلك استيلاؤها على الخليج الفارسي كله وبقيت مسيطرة عليه الى ان اجلاها عنه ءال يعرب .

دولة آل يعرب وائمتها
وفتوحاتهم العظيمة

وفي سنة ١٠٣٤ هـ وسنة ١٦٢٤ م عقدوا الامامة لناصر بن مرشد اليعربي وهو اول امام من دولة آل يعرب الطائرة الصيت فناشب البرتغال الحرب واجلاهم عن جميع السواحل العمانية الا مسقطا فانه عقد الهدنة مع البرتغال ومات سنة ١٠٦٠ هـ وسنة ١٦٥٠ م فعقدوا الامامة بعده لابن عمه سلطان بن سيف اليعربي فنقض الهدنة مع القائد البرتغالي واستولى على ذخائرهم وحصونهم اللاتي شادوها في قنن الجبال الشامخة ثم شرع في بناء اسطول ضخم وجعل مسقطا ميناء حربيا له واعد فيه المعدات الكافية من مدافع وغيرها فطرد البرتغال من الخليج الفارسي كله بعد وقائع هائلة اهمها واقعة كنج من بلاد العجم واحتل مضيق هرمز . ثم هاجم البرتغال في سواحل الهند فاستولى على الديو وخربها ووسى وبمبيء وغيرها من المدن الشهيرة بساحل الهند وبعد ان اجلاهم عنها وجه في مطاردتهم اسطوله الى افريقيا الشرقية واحتل فازه وبته وكلوة وحاصر مباسة واحتل بوغاز باب المندب وجزيرة قمران ومات رحمه الله بنزوى سنة ١٠٩٠ هـ وسنة ١٦٧٩ م ثم عقدوا الامامة لولده بلعرب ومكث في الامامة اربعة عشر عاما ومات خليعا ودفن بقصر جبرين سنة ١١٠٤ ثم عقدوا الامامة من بعده لاخيه سيف بن سلطان بن سيف فزاد في بناء الاسطول الذي انشأه والده واضرم نار الحرب على ممباسة ـ ثغر بافريقية ـ فاستولى عليها وعلى افريقيا الشرقية كلها الى رأس الرجا الصالح وذلك بعد حروب طاحنة ذكرت في التاريخ ومات رحمه الله بالرستاق سنة ١١٢٣ هـ وسنة ١٧١١ م ومن فتوحاته الرياض عاصمة آل سعود اليوم والاحساء . روى المؤرخون انه تولى فتح الرياض بنفسه واتى بنحو

٣٥ اميرا من امراء نجد اسارى الى « نزوى » عاصمة عمان ويروى عنه انه قال ان اعانني الله لاجعل المسافر من نزوى الى مكة يذهب بلا زاد يعني يبذل الهمة في عمران الطريق . اما تعميره عمان فحدث عن البحر فكم له من مدن بعمان عمرها وانهار اجراها وحصون شادها ولو لم يكن الا بلاد الباطنة وهي مسافة ١٣٠ ميلا كلها متتابعة العمران باهلة بالاباضية لكفاه فخرا مدينة العلياء ابهج بلاد عمان وانقى هواء . ثم عقدوا الامامة بعده لولده سلطان فوجه عنايته لحرب دولة ايران وانتزع من ايديهم جزيرة القسم والبحرين ولارك وجاش وبندر عباس بعد حروب طاحنة اهمها وقعة البحرين وقد اطنب في وصفها شعراء عمان في ذلك الوقت وذكر من قتل فيها من قواد العرب وعلمائهم ومات بالحزم سنة ١١٣١ هـ وسنة ١٧١٨ م وبعده أختلفت كلمة اهل عمان . فرقة ارادت الامامة لابنه الصغير سيف بن سلطان وهم الرؤساء والقواد . وفرقة ارادت الامامة لعمه يعرب وهم العلماء فوقع القتال بينهما واستمر الخلاف وكان من اشهر قواد عمان محمد بن ناصر الغافري وخلف بن مبارك الهنائي والكل منهم منضم الى فريق فمن انضم الى خلف سمي هنائي ومن انضم الى محمد بن ناصر سمي غافري وهذا الخلاف باق اثره الى اليوم بعمان

غارة العجم وسقوط آل يعرب

وفي غضون هذه الفتنة انتهزت دولة ايران الفرصة في عصر السلطان نادر شاه فارسل جيشا مؤلفا من ستين الفا تحت قيادة تقي خان فنزلوا رأس الخيمة فاضطرمت نيران الحروب بينهم وبين ولاة آل يعرب في الشارقة ودبي ورأس الخيمة فانتزعوا هذه البلاد من ايدي الولاة فزحفوا بجيشهم الكثيف الى صحار فحاصروا واليها السيد احمد بن سعيد جد العائلة المالكة الآن فدافعهم عن البلاد ولم يتمكنوا من الاستيلاء عليها فتركوا قسما من جيشهم لحصارها وزحف الباقون الى حصون الباطنة ومسقط فاحتلوها وفي خلال هذه الفتن الثائرة مات الولد الصغير المختلف في شأنه وبموته اجتمع اهل عمان على كلمة واحدة وناشبوا الاعاجم الحرب وازالوا الحصار عن صحار وعقدوا البيعة لواليها السيد احمد بن سعيد .

دولة آل سعيد ومئالها

في سنة ١١٦١ هـ وسنة ١٧٤٨ م بايعوا السيد احمد المذكور وهو اول امام من هذه العائلة فقام بالامر خير قيام وشمر عن ساق الجد وقاتل الاعاجم حتى اجلاهم عن مسقط وغيرها من بلاد عمان وتوفى الامام احمد بن سعيد سنة ١١٩٨ هـ وسنة ١٧٨٣ م وتولى من بعده السيد سعيد بن احمد ومات سنه ١٢٠٣ هـ ثم ملك من بعده السيد سلطان بن احمد فصرف همته الى توسيع نطاق المملكة فاستولى على البحرين سنة ١٢١٥ هـ وسنة ١٨٠٠ م وبنى بها القلعة المعروفة اليوم بقلعة عراد واستولى على ثغور مكران من بلاد بلوخستان واسترجع من الايران دبي والشارقة الى حدود قطر وانتزع ايضا منهم جزيرة القسم ولارك وبندر عباس ومينا و . ومات قتيلا قتله بعض اللصوص في البحر قريبا من رؤوس الجبال سنة ١٢١٩ ثم ملك بعده ولده السيد سعيد بن سلطان سنة ١٢٢١ هـ وسنة ١٨٠٦ م فاتخذ مسقط عاصمة وانتقل اليها من داخل عمان وجعلها مركزا تجاريا مهما بعد ما كانت ميناء حربيا وصرف همته الى توسيع المملكة فاحتل افريقيا الشرقية كلها وزنجبار من ايدي ولاة آل يعرب المستقلين بها ابان الفتنة المتقدم ذكرها آنفا وذلك بعد حروب طاحنة اهمها معركة سيوى التي قتل بها من العمانيين ثلاثة الاف . ثم شغب اهل البحرين عليه واعتصموا بآل سعود حكام نجد واخرجوا العمانيين منها فواقعهم السلطان سعيد واخيرا اتفقوا معه على ان يدفعوا له سنويا خمسين الف ريال فضة اتاوة . وفي زمانه استرجع الايرانيون بلادهم من العرب وهي ميناو وبندر عباس والقسم . ثم سافر السلطان الى زنجبار ومات بالبحر قبل وصوله ودفن بزنجبار وذلك سنة ١٢٧٣ هـ

وسنة ١٨٥٦ م . وسبب موته على ماذكره القس مؤلف رحلة السلطان برغش الى اروبا هو انه لما اعلنت دولة ايران الحرب عليه بقصد استرجاع بلادها منه منعته دولة بريطانيا عن ارسال جيش لاجل مساعدة الحامية هناك حتى غلب عليه الايرانيون وقبضوا حصونهم واسروا العرب فاشتمل على السلطان اليأس وغلب عليه الهم والحزن فسافر الى زنجبار ومات حزينا وقد استخلف على مملكة الزنجبار ولده السيد ماجد وعلى مملكة عمان وما يتبعها ولده السيد ثويني وفي ايام ثويني منع اهل البحرين الاتاوة التي كانوا يدفعونها لابيه وقد اتفق مع حكومة شاه ايران على استئجار بندر عباس من الشاه ويدفع له عوضا ماليا وفي ايامه جهز الى محاربة اخيه ماجد وانتزاع زنجبار منه فاعترضته حكومة الانكليز في رأس الحد وصدته عن مقصده ووقع الصلح بواسطتها بينه وبين اخيه ماجد على ان تدفع حكومة زنجبار على رأس كل سنة اربعين الف ريال وهذا الدفع باق الى يومنا هذا سنة ١٣٤٣ هـ ومات السيد ثويني قتيلا بصحار قتله ابنه السيد سالم سنة ١٢٨٢ هـ وسنة ١٨٦٥ م وملك بعده ولده سالم وبقي بعده سنتين ونصف وخلع وعقدوا الامامة بعده لابن عمه الامام عزان رضي الله عنه بن قيس بن عزان بن قيس بن الامام احمد بن سعيد سنة ١٢٨٥ هـ وسنة ١٨٦٨ م واستولى على جميع عمان واستشهد بمطرح سنة ١٢٨٨ هـ وسنة ١٨٧١ م وملك بعده السيد تركي بن سعيد وفي ايامه استولى على ظفار والحقها بمملكته وفي ايامه انفصلت المكلا ثغر حضر موت عن حكومة مسقط واستولى الايرانيون على شهبار احد ثغور مكران ومات سنة ١٣٠٥ هـ وسنة ١٨٨١ م ثم ملك بعده ولده السيد فيصل بن تركي وفي ايامه اعني في جمادى الثانية سنة ١٣٣١ هـ وسنة ١٩١٢ م حدثت الثورة بعمان ونصب الامام سالم بن راشد الخروصي واستولى على غالب داخلية عمان ومات السلطان بعد الثورة في تلك السنة ليلة رابع ذي القعدة وملك ابنه

السلطان تيمور بن فيصل وفي ايامه قتل الامام سالم بن راشد سنة ١٣٣٨ هـ وسنة ١٩١٩ م قتله اعرابي اراد انقاذ حكم عليه فبايع العمانيون محمد بن عبد الله الخليلي اماما بعده وفي اول سنة ١٣٣٩ انعقد مؤتمر السيب وعقد هناك صلح بين السلطان والامام على بنود اهمها عدم تداخل السلطان في داخلية بلاد الامام وعدم تداخل الامام في داخلية بلاد السلطان .

انتهى ما لخصه الشيخ العماني الفاضل وهو على ما فيه من الاختصار مفيد للغاية اذ غالب الناس لا يطلبون من تاريخ الامم التي يجهلونها اكثر مما ذكره والتفاصيل المسهبة المتعلقة بذكر العلماء والادباء والشعراء والوقائع الداخليةحربية كانت ام مدنية وغيرها وغيرها من كرامات الاولياء والصالحين وفضائل الائمة والملوك العادلين انما يعني بها ويحرص على الوقوف عليها فريقان من الناس . اهل ذلك القطر خاصة او علماء التاريخ المختصين . نعم لتتم الفائدة للقاري لا نحرمه من ذكر بعض تعاليق مفيدة لكاتبين شهيرين من كتاب هذا العصر الذين كتبوا حول تاريخ امة عمان ذات العظمة الخالدة والصيت البعيد .

تعاليق مفيدة بقلم الشيخ اطفيش والامير شكيب

لما تم الجزء الثاني من «تحفة الاعيان بسيرة اهل عمان » لمؤلفه العلامة الامام ابي محمد عبد الله بن حميد السالمي العماني . قال العلامة الكبير ابو اسحاق ابراهيم اطفيش الميزابي . وبعد فقد تم طبع الجزء الثاني من « تحفة الاعيان بسيرة اهل عمان » فكمل به هذا الكتاب الفريد الذي كشف لنا حال قطر من اعظم الاقطار الاسلامية تاريخا واهمها شوكة ودولة . وقد كان تاريخ عمان - ولا يزال معظمه - عنا غامضا ولكن هذا الكتاب بين لنا عن صفحات منه جليلة واطوار فخيمة وذكريات تحمل الينا انباء جميلة واخرى عليلة اسيفة وكم بين طيات التاريخ من عبر وءايات بينات كان منها نذير للبشر وتقلبات هي

احدى الكبر . ولقد احسن المؤلف رحمه الله في ترتيب اطوار الحكم بعمان من امامة وملكية حسب الزمان منذ ظهور الحكم المستقل في عهد التابعين الى ءاخر ايام المؤلف . اقول : لم يصل الينا الجزء الاول من التحفة . اما الجزء الثاني فمبدؤه من دولة اليعاربة الى عهد المؤلف رحمه الله المتوفي في العقد الثالث من هذا القرن . قال الشيخ اطفيش : فكان حسن هذا الترتيب احدى مزايا الكتاب . ولئن فات المصنف ان يضم الى كتابه كثيرا من رسائل ائمة العلم الى ائمة الحكم اذ لها علاقة بتاريخهم فانه لم يذخر وسعا في جمع عهود الائمة الى ولاتهم وقوادهم وامرائهم وكانه رحمه الله يرى ان يحفل بشان الائمة حيث كان يذكر ما احتوى عليه كل امام من كرائم الفعال ومحاسن الخصال وما ازدهر به عهده من علم وعدل ودين ومساواة بين الناس في الحق ومشاورة اهل الحل والعقد من العلماء في تصرفاته بحيث يخرج القاري من مطالعته وقد تصورت له صفحة من تاريخ الحكم الشوري كما كان في عهد الخلفاء الراشدين ومقتضى ما يرشد اليه الكتاب العزيز ـ وانه لتنزيل رب العالمين ـ ولم يحفل بذكر اطوار الحكم الفردي وما فيه من سوء الاستبداد واقتراف المنكرات : والظلم من شيم تلك النفوس غالبا : وكان من مقتضى التاريخ ان يلم بكل ادوار الامة التي يكتب عنها الكاتب الا انه ربما يعتذر عن المؤلف بان علماء الشريعة يتورعون عن ذكر حوادث الجورة وما ياتونه من الجرائم بدعوى ان ذلك من قبيل نشر الباطل . والحق ان هذا ليس بعذر واخطأ من يلتمسه وانما المصنف لم يحفل في تاريخه هذا بعهد الجورة تفصيلا لعدم وقوفه عليه وقوفا يجعله واثقا مما يكتب ويدلك على هذا انه ذكر بعض وقائع من هذا القبيل وكشف عن اسرار بعض المستبدين وما بيتوه من حيل توصلوا بها الى الحكم وسفك دماء بريئة صعدوا على جثتها الى اريكة الملك وامتطوا غواربها الى اطماعهم فكانوا وبالا على الامة حينا من الدهر كما وقع في عصر بني نبهان

والحق ان عمان ليفتخر بعظمته التاريخية عظمة العلم والفتح ونشر لواء الاسلام في كثير من اقطار الشرق والاقطار الافريقية الشرقية وجهها دائمته وكثير من ملوكه في حفظ استقلاله ويحق له ان يباهي بائمته الهداة الراشدين الذين رفعوا منار الحق والدين واقاموا حدود الله بلا هواده ولم يخافوا لومة لائم قل ان الفضل بيد الله يوتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم . وقال حفظه الله في موضع اخر : يكيف بعض الكاتبين من غير اصحابنا ولا سيما المستعمرون ـ الانقلابات بعمان حسب ما يشاله هواه . وقد يشتد بعضهم في القول الى حد الطعن السخيف ولم يتبينوا السر في وجودها . وذلك ان الامة العمانية مشربة بروح النظم الشرعية التي يجري عليها الائمة وهي الحكومة المبنية على الشورى وانتخاب الامام والعمل بالشريعة ورد كل شيء الى حكمها حسبما كان عليه الخلفاء الاربعة الاول ـ قلت وخلفاء بني رستم في المغرب ـ واذا ضعف هذا الاسلوب من الحكم برزت الملكية الى الميدان فيظهر الصراع بين الملكية والامامة وهو كالصراع بين الملكية والجمهورية في الاقطار الغربية . ومن ذلك الانقلاب الذي ظهر على اثره الامام عزان بن قيس رضي الله عنه فانه امام شرعي باجماع الامة . ووصف الاجانب له بما هو هراء لا يطمس الحق ولا عبرة بمن تبعهم من المسلمين في هذيانهم والله اعلم . اه

وقال العلامة المبدع الامير شكيب ارسلان . بعد ان ذكر باسهاب واعجاب ماكانت عليه الدولة العمانية في بعض عصورها من عظمة وقوة وفتح واستعمار ومدنية وعدل الخ . قال ولله من منصف في هذا الباب . . . هذه مملكة عمان التي كانت اقوى دولة بحرية في آسيا كلها لا في بلاد العرب وحدها والتي قرات في بعض المؤلفات الاروبية انها منذ نحو مائة سنة كانت تملك ١٠٠ باخرة حربية قد آل امرها بتلاعب انكلترا بامورها الى ان سقطت عن عزها وعاد بدرها عرجونا وصارت امارة صغيرة لا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا ولا يقدر اميرها ان

ياتي بامر مهما كان تافها الا اذا اشار به المعتمد البريطاني فنزف هذه الحقيقة الى اولئك البله من ابناء جلدتنا الذين لا يزالون يحلمون بان انكلترا لا بد ان تؤسس لهم دولة عربية . . . الى ان قال .

واما زنجبار والمستعمرات التي كانت لعمان في شرق افريقيه فقد تقاسمتها انكلترا مع المانيا وايطاليا ولم تبق لسلطان زنجبار على جزيرة زنجبار سوى اسم السلطنة فقط . وهذه الجزيرة مساحتها ١٦٢٠ كيلومترا مربعا معدودة من اخصب البقاع واكثرها حاصلات وفيها معامل السكر ومعاصر الزيت واهلها ٢٠٠ الف نسمة منهم عرب ومنهم من القوم الذين يقال لهم سواحلية ومن الواحاديمو اي اهل الجزيرة الاصليين ومن البانيان الى الهنود الشماليين . وكانت زنجبار مع جزائر بمبا . ومافيه . ولامو - والسواحل الشرقية المقابلة لها . مملكة عربية اسسها ملوك عمان سنة ١٨٥٦ منفصلة عن مسقط بعد ان كانت مستعمرات لعمان منذ قرون . فوضعت ايديها الدول المستعمرة على هذه الجزر والسواحل ومن سنة ١٨٨٥ الى سنة ١٨٩٣ تم التقسيم على ان يكون لانكلترا سلطنة زنجبار التي هي عبارة عن جزيرتي زنزبار - وبمبا - وما يقابلهما من الساحل من (اوانغا الى كيسمايو).

وان يكون لالمانيا جزيرة مافيه والساحل الذي بين اومبه ورافومه - وان يكون لايطاليا بعض ثغور في الساحل . واهم هذه النقاط هي جزيرة زنجبار . وفي الجزيرة مدينة باسم زنجبار ايضا اهلها ١٠٠٠٠٠ نسمة وهي مدينة تجارية مهمة تقدر حركة صادرها ووارداتها بنحو ٦٠ مليون فرنك وقد كان سلاطين عمان اسسوا فيها عمرانا واثلوا مدينة وشادوا مدارس . وقرات بعض اسفار عربية مطبوعة بالمطبعة السلطانية في زنجبار .

وخاتمة سلاطين زنجبار اسما وفعلا كان السيد برغش بن سعيد بن سلطان

تولى الامر في ٧ اكتوبر سنة ١٨٧٠ بعد وفات اخيه ماجد وبقي في الملك الى ان توفي في ٧ مارس سنة ١٨٨٨ وكان برغش قد نازع اخاه ماجد الملك واخذه الانكليز الى بمباي . حيث اقام سنتين ثم تصالح مع اخيه وعاد الى زنجبار . ولما مات ماجد خلفه على كرسي الامارة على شرط الاعتراف بحقوق بريطانيا العظمى اي مثاربها الاستعماريتة وفي ٥ يونيو «حزيران» ١٨٧٥ اجبرته انكلترا على امضاء معاهدة الغاء الرقيق في بلاده . فامضاها ثم دعاه الانكليز الى زيارة انكلترا فزارها وزار فرانسا والبرتغال وفي سنة ١٨٨٥ القت المانيا دلوها في الدلاء وارادت تاسيس مستعمرات لها فوجهت نظرها على تلك السواحل التي كانت تخص السلطان برغش بن سعيد ووضعت يدها على جانب عظيم منها واستبقى برغش لنفسه السلطنة الاسمية وقبل وفاته بقليل اختلف مع البرتغال على الحدود بين اراضيه ومستعمراتهم الموزامبيق واستمر الخلاف الى ما بعد وفاته حتى جرى التحديد بين الالمان من جهة والبرتغال من جهة اخرى وفي آخر حياته ذهب الى وطنه الأصلي عمان . لتبديل الهواء ثم عاد الى زنزبار ومات وخلفه اخوه خليفة

وكان برغش متوقد الذهن عالي الهمة صعب المقادة ابي النفس وكان من اشد الناس عداوة للاروبيين الذين كانت لا تخفى عليه مقاصدهم وكان واسع العلم باطوارهم واحوالهم . ومن بعده لم يبق للعرب من سلطنة في تلك الجزائر الخصيبة والسواحل الطويلة العريضة الا بالاسم لان الاوربيين لا سيما الانجليز التزموا هدم اركان القوة العربية في تلك الديار حتى لا يبقى لهم معارض ولا منازع في استعمارها وكما انهم اوهنوا الاصل الذي هو عمان فقد اسقطوا الفرع الذي هو زنجبار لان كل دولة عربية عزيزة على جانب الاوقيانوس الهندي هي قذى في اعينهم وخطر على الهند في نظرهم . ويجدون انهم لا يقدرون ان يعملوا في تلك الديار الا بسقوط العرب على حد قول القائل :

وكم قائل مالي رأيتك راجلا ❁ فقلت له من اجل انك فارس

انتهى ما اردنا ذكره مما كتبه الامير الاكتب شكيب ارسلان

قلت فلتتأمل القاري الحر في هذه الصحف التاريخية البيضاء التي نمق سطورها ائمة تبهرت بالمغرب وائمة عمان بالمشرق . وهي كما ترى عظيمة القدر جليلة الخطر حافلة بجلائل الاعمال ومفاخر الاجيال . وهي جزء طبيعي من التاريخ الاسلامي المجيد . انظر كيف يمر عليها مر الكرام جمع غير قليل من المؤرخين قديما وحديثا في الوقت الذي نراهم لا يغادرون صغيرة ولا كبيرة من الدول الا سجلوا اعمالها وخلدوا فيما كتبوه ذكرها . وقد يكون البعض منها مما لا يقام له وزن كالدويلات التي لم تعش اكثر من ربع قرن ولم يدخل تحت حكمها الا آلاف قليلة من بني البشر . فما بالهم يذكرونها في مطولاتهم ومختصراتهم ويهجرون ذكر دول قامت على دعائم العدل وقواعد الشرع وخدمت الدين والانسانية والمدنية خدمات تعنو لها جباه المنصفين اجلالا وتقديرا كدولتي بني رستم ونفوسة بالمغرب ودولتي عمان وزنجبار بالمشرق . وقد رفعت من شأن الاسلام واعلت منارة وايدت تعاليمه بما قصر عنه كثيرا غيرها من الدول الاسلامية . وعمرت قرونا وقرونا وخضع لسلطانها ملايين وملايين من النفوس وهي اذ ذاك في مجد شامخ وعز باذخ لا يدانيها فيه عشرات من تلك الدويلات مضموم بعضها الى بعض . فيا سبحان الله انقول انهم يجهلون تاريخها ونرضى لهم بالجهل وكفى . ام نقول ان هذه الدول لكونها تنسب الى الاباضية فلا يجمل بهم ذكرها ولا يحسن ان تحشر في زمرة الدول التي دونوا اعمالها . افيصح ويجوز ان يكون عذرهم هو هذا . اللهم انه لعذر اقبح من ذنب ما ارتكبوه . الا فليعمل العقلاء وليجد النبهاء في ازالة هذة السخافات من بين المسلمين وليبادل بعضهم بعضا دراسة تاريخ امم الاسلام وفرقه بلا تحيز ولا تميز . وليعلموا ان الخلاف الواقع بين الاباضية والمذاهب الاربعة هو ابسط جدا مما يتصورون ولكي تقف ايها القاري على اهم نقط الخلاف فيقوى يقينك ويستنير فكرك ويسود نفسك الاطمئنان نورد لك شيئا من المسائل المختلف فيها وبالله التوفيق ومنه نستمد العون :

اهم ما بين الاباضية

والمذاهب الاربعة من المسائل الخلافية

١) الصفات الالهية . يقول المذاهب الاربعة ان صفات الله غيره وهي قديمة بقدمه تعالى والاباضية يقولون هي عين ذاته لا حاجة الى شيء زائد عنها نفيا لتعدد القدماء .

٢) الرؤية . ينفي الاباضية رؤية الله تعالى دنيا واخرى لانها تستلزم ما لا يليق بذاته من التحيز وغيره والاشعرية (المذاهب الاربعة) يثبتونها له في الآخرة بلا كيف ولا انحصار في جهة

٣) القرءان . الاباضية يقولون ان القرءان مخلوق حادث « ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث » والاشعرية يقولون انه قديم . وادلة الطرفين في هذه المسائل مبسوطة في المطولات .

٤) مسألة الخلود في جهنم . الاباضية يقولون داخل النار من عصاة الموحدين مخلد فيها لا يخرج منها ابدا فهو في الخلود مثل داخل الجنة الا ان الموحد اخف عذابا من غيره . اما الاشعرية فلا يقولون بخلود الموحد العاصي في النار فان دخلها عذب على قدر ذنبه ثم يخرج منها الى الجنة .

٥) مسألة الايمان . الاباضية يقولون الايمان قول وتصديق وعمل . والاشعرية يقولون هو قول وتصديق وقيل هو التصديق والقول معبر عنه فقط

٦) ولاية الاشخاص وبراءة الاشخاص . يقول الاباضية بوجوبهما (كولاية الجملة وبراءة الجملة) وصورة الولاية : ان يتولى المكلفون من تثبت ولايته وهو الطائع الموفي بما امره الله فيحبونه لذلك ويستغفرون له ويساعدونه في

شئونه الدنيويه من بيع وشراء وسائر المعاملات . واما البراءة فصورتها : ان يتبرأوا من العاصي ويقطعون معاملته ويهجرونه بحيث يصير كأنه بمعزل عن العالم الى ان يتوب الى الله . فاذا تاب واقلع عن معصيته اعيدت اليه هذه الحقوق وعومل بما يعامل به سائر اخوانه . وهو كما ترى حكم من افعل الاحكام في زجر الناس عن الخروج عن طاعة الله وانظمة هذه الحياة وباعث قوي للنفس على السير في المنهج القويم دينا ودنيا فهو « لكونه دينيا » يغني عن اشد العقوبات المدنية التي سنتها القوانين الوضعية . وقد شهد لتأثيره الحسن في اصلاح الهيئة الاجتماعية حال النفوسيين قديما وما كانوا عليه من العز الشامخ والثراء الواسع كما هو شأن العمانيين حال مجدهم حينما كان العمل به جاريا . وحال الميزابيين اليوم بالجزائر وما هم عليه من انتظام الاحوال واتساع الثروة والتمسك بالدين اصدق شاهد على ذلك . فانهم ما زالوا في تطبيق احكام الولاية والبراءة على ما هو عليه سلفهم الصالح . والمذاهب الاربعة لا يقولون بولاية الاشخاص وبراءة الاشخاص . ويكتفون بولاية الجملة وبراءة الجملة الخاص حكمها بمن لم يتدين بدين الاسلام ولا ينسحب على عصاة الموحدين عندهم

٧) مسألة الشفاعة . يقول الاشعرية ان الشفاعة تنال اصحاب الكبائر من الامة المحمدية . واما الاباضية فعندهم لا ينالها الا من مات منهم على الوفاء والتوبة النصوح ولكل ادلته كما في سائر المسائل

٨) يطلق الاباضية على الموحد العاصي كلمة كافر ويعنون بها كفر النعمة ويجرون عليه احكام الموحدين ولهم في ذلك مسوغات شرعية ولغوية ليس هذا محل ذكرها . فالكفر عندهم كفر نعمة ونفاق وهو هذا . وكفر شرك وجحود وهو الذي يخرج الانسان من الملة الاسلامية . والاشاعرة يكتفون بتسميته عاصيا وفاسقا ويمنعون اطلاق الكفر عليه ولو كان مقيدا بما قيده الاباضيون

ويؤولون ما جاء مشعرا بذلك . وكلا المذهبين على اتفاق في اجراء احكام الموحدين عليه . فالخلاف بينهما يقرب ان يكون لفظيا لا روح له من جهة المعنى كما ترى .

٩) الميزان والصراط يوم القيامة . يقول الاشعريون انهما حسيان . فاعمال الانسان توزن يوم القيامة بميزان ذي كفتين اظهارا للحق وتبكيتا للمقصر . والصراط جسر ممتد على متن جهنم تمر من فوقه الخلائق كل بحسب عمله فمن مسرع ومن مبطا ومن متردد في الجحيم . واما الاباضية فيقول جمهورهم ان الميزان ليس بحسي والله غني عن الافتقار اليه وانما هو تمييز معنوي للاعمال « والوزن يومئذ الحق » كيف والاعمال ليست بامور محسوسة حتى توزن بميزان من نوعها . والصراط ايضا ليس بحسي وانما هو دين الله الحق وطريقه القويم فمن اتبعه فاز ونجا ومن حاد عنه خسر وهوى . ومن الاباضية من يجيز ان يكون الميزان والصراط حسيين على نحو ما قالت الاشعرية

١٠) من المسائل الخلافية التي ليست من اصول الدين ولكن لها تأثير ذو بال في تغيير مجرى الحياة العامة في الاسلام وهي مسألة الصحابة . فالاباضية المتقدمون يرضون عنهم الا من احدث ما يخالف ظاهر الدين واصر على ذلك ولم يتب . اما اذا تاب كعائشة ام المؤمنين في توبتها من موافقة طلحة والزبير عند خروجهما عن الامام علي بن ابي طالب في وقعة الجمل فانهم يرضون عنها وعن كل تائب من عمله الخاطيء . والمتأخرون منهم يرون التوقف وعدم الخوض اولى . والاشعرية يعذرون الصحابة جميعا ويرضون عنهم جميعا . كذا قيل والذي اراه انهم كذلك الا في قسم من الصحابة المخالفين للامام علي بن ابي طالب فانهم يرضون عن معاوية ولا ينتقدون اتباعه مع انهم اشد الناس عداوة للامام الشرعي ابن ابي طالب الى حد تاباه المروءة فقد سن معاوية شتم الامام على المنابر واستمر

العمل بهذه السنة السيئة في بني امية الى ايام الخليفة عمر بن عبد العزيز فانه رحمه الله قطعها وابدلها بآية قرءانية وهي قوله تعالى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون) ولنعم ما فعل هذا الامام العادل النادر المثال في ملوك المسلمين وائمتهم . ولكننا نراهم يسخطون ولا يرضون عن اهل النهروان والنخيلة وينسبونهم الى الخطأ والزلل مع ان اكثرهم او قادتهم على الاقل من اصحاب رسول وخيارهم ومن اعلمهم بالحلال والحرام واشدهم تمسكا بدين الله . وقد روى التاريخ : ان الامام عليا ندم على قتالهم يوم « النهروان » ندما شديدا وسمعه جم غفير يردد تأبينهم بقوله والله لانتم اسود النهار رهبان الليل ولانتم اصحاب الدار يوم الدار واصحاب الجمل يوم الجمل واصحاب صفين يوم صفين واصحاب القرءان اذا تلي القرءان الخ .. اني اجهل تماما السبب الحامل للاشعرية في هذا التفريق بين الصحابة والخوض في شأن بعضهم دون بعض خلافا لقاعدة مذهبهم

١١) من المسائل الفرعية المختلف فيها ولكنها ذات خطر في مجرى الحياة الاسلامية العامة مسألة الامامة العظمى (١) فالاباضية يرون وجوب نصب الامام كالاشعرية الا انهم لايحصرونها في عنصر خاص بل شرطهم الاساسي هو الكفاءة الشرعية في الشخص المختار لها وتجب طاعته ما دام على الحق والعدل شعاره فان جار في الحكم وخالف الحق ولم يتب جاز بل وجب الخروج عنه . والاشعرية يقول جمهورهم لا يجوز الخروج عن الامام الجائر ويقولون عن الخلافة يجب ان تكون في قريش ومن تبوأها من غيرهم فانما هو غاصب لحقهم

---

(١) الامامة العظمى واجبة متى توفرت شروطها . وهي ان يكون اهل الحق نصف عدوهم المتخوف منه او اكثر ولهم ما يكفيهم من علم ومال وسلاح وكراع . واذا عقدت الامامة لمن هو لها اهل لم يجز له تركها . وشرطه ان

(١٢) مسالة الوقف - يقول الاشعرية كلهم او جمهورهم ان الوقف بقسميه من الدين ويجب العمل به مطلقا (٢) . والاباضية يحرمون وقف الذرية المسمى اليوم بالوقف الاهلي ولاسيما المتعلق بحرمان الاناث من ارثهن الشرعي. واباضية الشرق لهم في ذلك تفصيل والجميع لا يرون باسا في الوقف الخيري المراد به وجه الله خالصا كالمساجد والمدارس والمستشفيات وغيرها وللواقف ثواب عمله .

يكون ذكرا بالغا عاقلا عالما بالاصول والفروع متمكنا من اقامة الحجج وازالة الشبه ذا رأي وخبرة في الحروب شجاعا ولو كان لا يباشرها بنفسه لا يلين ولا يفشل من اهوالها ولا يهاب اقامة الحدود وضرب الرقاب في سبيل الله ونصرة الحق . واذا توفرت هذه الشروط في القرشي فهو اولى والا فغيره ممن رضيه اهل الحل والعقد من المسلمين ولا يفهم من هذه الشروط ان نصب الامام غير واجب اذا فقد شرط منها لا بل يتعين عليهم نصبه ولو كان دون هذه المنزلة . اذ العبرة بالشروط الاساسية التي لا يشاد صرح الامامة بدونها . اه ما قاله الامام القطب الشيخ محمد بن يوسف اطفيش ببعض تصرف . ومما قاله في هذا الصدد وعندنا ان الامامة من الاصول لما صح عن عمر وغيره من الامر بقتل من تعين نصبه اماما فابى من قبولها . الا انها ليست مما يقدح تخلفه في صفة الله . فمعنى كونها من الاصول انه لا يجوز الخلاف فيها . الى ان قال وقالت الاشعرية انها من الفروع المتعلقة بافعال المكلفين ونصب الامام عندهم واجب سمعا وكذا عندنا الا ان العقل يناسبه اذ لا تقام الحدود الا بها . وقالت الصفرية والازارقة والنجدية لا يجب نصب الامام اصلا . وبعضهم قال يجب عند الامن لا عند الفتنة وذكر اقوال غيرهم واطنب رحمه الله . اه من شرحه للعقيدة

(٢) وقفت على محاضرتين رد فيهما كل من العلامة الشيخ محمد بخيت والعلامة محمد علي علوبه باشا على صاحبه وكلاهما من عظماء مصر ومشاهيرها . الاول يرى ان الوقف بقسميه (الاهلي والخيري) من الدين . والثاني يرى لزوم الغاء الوقف الاهلي لكونه ليس من الدين مع قلة الانتفاع به حينما يكثر المستحقون بالتناسل فيصبح مهملا خربا لا عناية لاحد به . واطال كل منهما في البحث والرد ولكل ادلة وانصار . فانت ترى ان الباشا المذكور قد وافق ما عليه الاباضية من حيث لا يدري . فضلا عمن ذكرهم في محاضرته . فتأمل جهل بعض المسلمين ببعضهم

وما عدا ما تقدم فالخلاف فيه سواء في العبادات والمعاملات شانه شان الخلافات الواقعة بين المذاهب الاربعة فما تجده سائغا عند الاباضية والمالكية قد تجده ممنوعا عند الحنفية والشافعية مثلا والعكس وكهذا في اغلب المسائل. كالخلاف في المخنقة والموقودة والمتردية. فان ذكاتهن عند الاباضية جائزة وعند المالكية ممنوعة ولكل دليله وفي المذاهب الاربعة من يوافق الاباضية في ذلك ويخالف المالكية والعكس وكجواز الطلاق بالاعسار والغيبة عند المالكية والاباضية وعدم جوازه بهما عند الحنفية. واستمرار حق الحضانة لام المحضون ومن يليها الى بلوغ الذكر وتزوج الانثى عند المالكية والتفصيل والتخيير للمميز عندنا. والى سبع سنوات للذكور وتسع للاناث عند الحنفية. وكمنع التقصير في الصلاة للمسافر بنية الاقامة اربعة ايام عندهم واستمراره ما انتفت النية في الاقامة واتخاذ الوطن عندنا لحديث «صلاة المسافر ركعتان حتى يؤوب الى اهله وايموت» وعلى هذا الراي كان الحسن البصري التابعي المشهور فقد روى عنه انه قال: مضت السنة ان يقصر المسافرون ولو اقاموا عشر سنين ما لم يتخذوها وطنا: وهكذا الشفعة للغائب. فانه باق على حقه فيها عندهم ولا شفعة له عندنا لما في ذلك من تعطيل الحقوق ومثله اليتيم ايضا للعلة نفسها. وكذلك الجنابة فانها لا تبطل صوم الصائم عندهم وعندنا تبطله ويجب على المجنب ان يغتسل قبل طلوع الفجر فان اصبح مجنبا فقد اصبح مفطرا. وعندنا يحرم نكاح الزانية على الزاني بها ولا تحرم عليه بذلك عندهم ولكل من الفريقين ادلة طويلة ومستندات يطول شرحها فلا يناسب في هذا المختصر سوقها. ومثل ذلك الدخان فانه حرام عندنا ومباح او مكروه عندهم وقيل حرام عند بعضهم. ومنها ان اصحابنا جعلوا النظر في اقامة كافل اليتيم للعشيرة وعلى القاضي التنفيذ وعندهم ان ذلك من اختصاص القاضي لا غير. ومنها جواز الحكم في الاموال بالشاهد واليمين

عند المالكية ولا يكون الا بالشاهدين عندنا وعند الحنفية كسائر الحقوق والحدود الا في الزنا فان الجميع اتفقوا على اربعة شهداء والا اقيم عليهم حد القذف . وكذا الاعذار فانه لازم في الحكم عند المالكية وغير لازم عند الاباضية والحنفية . ومنها ان البسملة اية من كل سورة عند الاباضية والشافعية وعند الحنفية ايضا فيما اظن وليست كذلك عند المالكية ولذا كرهوها في الصلاة المفروضة . ومنها ان المراة عندنا سواء كانت بكرا ام ثيبا لا اجبار عليها من الولي ولو كان ابا بل لا بد من مشورتها ومنحها الحق في اختيار من تريد ان يكون شريكا لها في الحياة الزوجية . وانما للاب ان يزوج بنته استبدادا في صورة واحدة فقط وهي ان تكون بكرا دون البلوغ لا غير . ومع ذلك فلها حق في رد ما فعله الاب وغيره حين بلوغها على الفور . وما عدا هذه الصورة فالشرط الاساسي في صحة العقد هو رضاها وموافقتها . والحنفية في هذا الباب موافقون للاباضية . واما المالكية ففي الثيب كذلك . واما البكر فللاب ان يجبرها على التزوج بمن شاء ولو تجاوزت حد البلوغ ويسمونه الولي المجبر . ومن ابسط المسائل الخلافية . جواز رفع اليدين وتحريك السبابة والقنوت في الصلاة عندهم . ومنع هذه الافعال عند الاباضية لمخالفتها مقتضيات الخشوع والرفع المذكور مع كونه معتبرا عند المذاهب الاربعة من المندوب اليه ندبا غير اكيد فان العامة منا ومنهم يعتبرونه الفارق الوحيد بين الفريقين . والسر في ذلك معلوم وهو ان الصلاة اكثر الفرائض تكرارا وظهورا وشيوعا .

واما الطرق الصوفية الكثيرة الشيوع في المذاهب الاربعة كالقادرية والعروسية والرفاعية والعيساوية والساعدية والتيجانية والسنوسية والبكطاشية وغيرها كثير فليس لها وجود في المذهب الاباضي وهي في نظره من البدع المحرمة شرعا ولا يتوقف الوعظ والارشاد وتهذيب النفوس على احداث مثل هذه الطرق

والانتساب الى رجالها على النمط المعهود عندهم . ومع هذا فلا ينكر الاباضيون كرامة الاولياء ووجود الصالحين من عباد الله المخلصين ولزوم احترامهم لكن لا على هذا الوجه . واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا .

هذا ولا اعلم بين الفريقين خلافا في الصلاة ووجوبها وادائها في الاوقات الخمسة وعدد الركعات . ولا في الحج واركانه ومناسكه . ولا في الزكاة ونصابها ومواضع صرفها ولا في الصوم ووجوبه واغلب مصححاته ومفسداته . وقد علمت ما في الركن الاعظم (التوحيد) من الاتفاق على تنزيه الباري عن كل نقص وان اختلفت جهات النظر « ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا يات بكم الله جميعا ان الله على كل شيء قدير . » وفي هذا القدر كفاية لمن يريد الاطلاع الاجمالي وبالله التوفيق .

خاتمة

فيما يفعله امام الاباضية مع من تحته من المخالفين

ان الواقف على مجمل تاريخ هذه الفرقة الاسلامية وعلى ما بينها وبين الاشعرية من الخلاف المبين اهمه هنا . قد يدفعه حب الاطلاع فيشتاق الى معرفة ما هي معاملة الدولة الاباضية لرعاياها الاسلاميين المخالفين لها في المعتقد. وللقيام بهذه الحاجة نورد له ما ياتي ليكون على بينة مما عليه الاباضيون في حكم الشعوب وسياسة الامم التي تحت لوائهم . وذلك نقلا عن احد ائمتهم الفحول العلامة ابي يعقوب يوسف بن ابراهيم الورجلاني صاحب التصانيف المعتبرة في المعقول والمنقول المتوفي سنة ٥٧٠ هـ وسنة ١١٧٤ م ومن اعظم مؤلفاته قدرا وجلالة : « الدليل والبرهان » الذي ننقل منه ما نصه :

باب ما ينبغي لامير المؤمنين ان يفعله في اهل الخلاف

والذي ينبغي له ان يدعوهم الى ترك ما به ضلوا فان اجابوا اهتدوا وصاروا اخواننا لهم ما لنا وعليهم ما علينا . كما قال ابو حمزة المختار بن عوف (١) وقد خطب اهل المدينة فقال : ايها الناس نحن من الناس والناس منا الا عابد وثن وملكا جبارا وصاحب بدعة يدعو الناس اليها . وان امتنعوا من ذلك دعوناهم الى ان نجري عليهم حكم الله تعالى من دفع الحقوق والخضوع لواجب الاحكام فان اذعنوا لذلك تركناهم على ما هم عليه ووجب لهم من الحقوق والاحكام ما يجب لنا وعلينا الا ما كان من الاستغفار . فلا حق لهم فيه ما داموا متمادين على ما هم عليه ووسعنا واياهم العدل . ولهم حقوقهم من الفي والغنائم والصدقات على وجوهها ولهم علينا دفع الظلم عنهم كما يجب لسائر المسلمين والعدل في الاحكام والدفاع عنهم . وان غزوا معنا فلهم سهامهم كما لنا ومن امتنع منهم منع وجب عليه من الحقوق ادبناه بما يقمعه ونرده الى سواء السبيل وان جاوزوا ذلك سفكنا دماءهم واستحللنا قتالهم . وان اعترفوا بطاعتنا وانفردوا ببلادهم واجروا فيها احكامهم تركناهم . وذلك ما لم يكن رد على اية محكمة او سنة قائمة ونستقضي عليهم منهم من يقوم بواجب الحقوق عليهم ولهم ونقبل

---

(١) هو احد ائمة الاباضية الكبار . استنجد به اهل اليمن بواسطة قاضي حضرموت عبد الله بن يحى طالب الحق لازالة ظلم القويسم عامل مروان بن محمد فانجدهم بجيش عدده ١٦٠٠ فتلقاه العامل في ثلاثين الفا ولكن ابا حمزة هزم هذا الجيش العرمرم ولم يقتل جريحا ولم يتبع مدبرا فاحتل اليمن وسار نحو مكة فاحتلها بدون قتال ثم سار الى المدينة فاحتلها ايضا وخطب في الناس داعيا الى كتاب الله وسنة رسول الله ثم سار الى الشام فالتقى بجيش مرواني كثيف بوادي القرى فاقتتلوا قتالا شديدا خانه الحظ فيه فمات رحمه الله وانهزم جيشه وانحل امره وعاد الظلم الى ماكان عليه .

قوله في ذلك على اسلوب القضاة كلهم . ولا يمنعنا من ولاياتهم الا ما هم عليه وناخذ منهم كل ما يجب من الحقرق ونردها في فقرائهم وذوي الحاجة منهم وان اتهمناهم في شيء اعذرنا اليهم ولا نتركهم يظهرون منكرا بين ايدينا اذا كان عندهم منكرا ديانة . ونمنعهم ان يحدثوا في ايامنا ما لم يكن الا ان يكون امرا لا مكروه تحته . وان خرجوا علينا وهزمناهم فانا لانتبع مدبرا ولانجهز على جريح واموالهم مردودة عليهم الا ماكان عائدالبيت المال فانا ناخذه ونصرفه في وجوهه . ولا نستعمل معهم في ذلك طريقة الزهاد مثل ما فعل ابو منصور سنة ٢٦٧ مع ابن طولون حين هزمه شر هزيمة بعسكر نفوسه فلم ياخذ ابو منصور ورجاله شيئا من تلك الاموال الوافرة زهدا وتورعا وتركوها لاهل مدينة طرابلس فتوزعوها وانتهبوها . وان قدرنا عليهم قتلنا منهم كل من قتل احدا منا بعينه قصاصا . ونسرح سبيل الاسارى ولا نتبع المنهزمين ولا نعترض احدا منهم الا من طعن في الدين او قتل من المسلمين او دل عليهم فهؤلاء يقتلون اذا قدرنا عليهم الا من تاب قبل ذلك . ونصلي على قتلاهم وندفنهم ونجري المواريث بيننا وبينهم على وجوهها والاموال والحرمات على وجوهها اه

فليتدبر المنصف فى هذا الدستور الاسلامي الذي جاء به الكتاب العزيز والسنة النبوية والذي ما برح يقوم بتطبيقه ائمة الاباضية وعمالهم في جميع ادوار تاريخهم السياسي تطبيقا عمليا . خلافا لما عليه الملوك الظلمة الذين يزعمون انهم ءامنوا بما انزل الى الرسول وما جاء به من امر ونهي ووعد ووعيد وحلال وحرام وحدود واحكام . ثم لا ترى لاتباع اوامر الشرع اي اثر في اعمالهم وحروبهم بل لا ترى الا السلب والنهب وهتك الاعراض والفتك بالابرياء وغير ذلك من المناكر التي تقشعر من ذكرها الابدان وتشمئز من بشاعتها وشناعتها اقسى القلوب . ومع هذا فكثير من المؤرخين يذكرون هؤلاء على انهم من عظماء

الاسلام وملوكه الذين تفتخر بهم الاجيال . غافلين او متغافلين عن التنويه باهل هذا القسم المهم من التاريخ الاسلامي الذي ليس في صحائفه الا ما يبيض وجه الانسانية ويرفع من كرامة الشعوب المحمدية ويبرهن باسطع الادلة واقواها على ان دين الاسلام هو دين العدل والحرية والمساوات المطلوبة لبني الانسان متى وجد كهؤلاء الائمة من يحسن تطبيق قواعده وتنفيذ احكامه . ولا نذهب بالقاري بعيدا . فنظرة في عمل ابي منصور في حربه مع ابن طولون وهو عامل من عمالهم تكفيه حجة على ما هم عليه من التحري لدين الله . ولقد انقذ هذا البطل حكومة الاغالبة يومئذ من خطر محقق الوقوع . اذ معنوية جيشهم قضى عليها ابن طولون قضاء مبرما . فلولا ابي منصور لتم له القضاء على دولتهم نهائيا بدون شك . لكن لؤم الاغالبة ابى عليهم الا ان يقابلوا هذا الجميل باقبح ما تراه العيون وتسمعه الاذان قبل ان تمضي سبعة عشر سنة من تاريخه وذلك في وقعة مانو المشهورة سنة ٢٨٤ التي حاربوا فيها النفوسيين وهزموهم هزيمة مؤلمة فقد افحش بنوا الاغلب فيهم قتلا ونهبا وسبيا وتمثيلا واسرفوا ايما اسراف واتوا بكل انواع الفضائع التي تاباها الانسانية ويحرمها النظام الدولي والشرع المحمدي اشد تحريم . فكانما الوازع الديني لم يخلق في نفوسهم ولا سكن حتى بجوارها . ولعمري ان البيتين المشهورين :

ملكنا فكان العدل منا سجية ❁ فلما ملكتم سال بالدم ابطح
فحسبكم هذا التفاوت بيننا ❁ وكل اناء بالذي فيه ينضح

لهما احسن ما يتمثل به ابو منصور ونفوسه عند الفخر والمقابلة بين عملهم وعمل بني الاغلب . فسبحان من لا اله غيره ولا خالق سواه يخلق من يشاء كيف يشاء وهو الحكيم العليم لا يسئل عما يفعل وهم يسالون .

انتهى ما اردنا جمعه والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وكان الفراغ من جمعه في شهر الله المبارك رمضان سنة ١٣٥٥ هـ وسنة ١٩٣٦ م وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

فهرس الكتاب

	صحيفة
الخطبة	٢
المقدمة	٣
محمد صلى الله عليه وسلم	٩
خلافة ابي بكر الصديق	١١
خلافة عمر الفاروق	١٢
خلافة عثمان بن عفان	١٣
خلافة علي بن ابي طالب	١٣
الحسن بن علي	١٥
معاوية بن ابي سفيان وملكه	١٥
اليزيد بن معاوية ومعاوية بن اليزيد	١٥
مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير	١٦
عبد الملك بن مروان ومراسلته لامام الاباضية	١٧
المذهب الاباضي وامامة عبد الله بن اباض	١٧
جواب الامام ابن اباض لابن مروان	١٨
الامام جابر بن زيد فقيه البصرة في عصره	٢٨
الامام ابو عبيدة وجمع من ائمة الاباضية وجملة استطراديه نفيسة	٣٠
اباضية اليوم واين يوجدون	٣١
انتشار مذهب الاباضية وظهوره بالمغرب وامامة الحارث وعبد الجبار	٣٢
امامة ابي الخطاب عبد الاعلى اليمني الاباضي بطرابلس والقيروان	٣٣

صحيفة

امامة ابي حاتم يعقوب بن حبيب	٣٤
حملة العلم والدين الى المغرب	٣٥
خلافة بن رستم بتيهرت (عراق المغرب)	٣٦
خلافة الامام عبد الرحمان بن رستم	٣٧
خلافة الامام عبد الوهاب بن عبد الرحمن	٣٨
خروج ابن فندين عن الامام وتاييد شعيب المصري له	٣٩
خروج خلف بن السمح بجيز طرابلس (نفوسه)	٤٠
اشهر المثريين في عهد عبد الوهاب	٤١
خلافة الامام افلح بن عبد الوهاب	٤١
خلاف نفاث بن نصر في الجبل	٤٢
خلافة الامام ابي بكر بن افلح	٤٤
خلافة الامام ابي اليقظان بن افلح	٤٥
حرب نفوسه وابي منصور لابن طولون	٤٦
خلافة ابي حاتم يوسف بن ابي اليقظان	٤٧
اهم ما حدث في زمنه بيعة عمه يعقوب	٤٧
خروج الطيب بن خلف	٤٨
واقعة مانو بجيز طرابلس	٤٨
امارة اليقظان بن ابي اليقظان وانقراض ملك بني رستم	٤٩
حال الاباضية بعد انقراض الخلافة الرستمية	٥٠
بعض مشاهير امراء نفوسه	٥١
بعض امراء الاسرة البارونية	٥٢
امارة ابي يحي زكرياء بن ابراهيم الباروني	٥٤
اصل العائلة البارونية واستمرار نفعها	٥٥

صحيفـــة

انتشار المذهب الاباضي بالاقطار الشرقية	٥٧
خلاصة تاريخ عمان منذ البعثة النبوية	٥٧
الفات نظر واعتذار	٥٩
تنازع الامامة الشرعية والملـكية المطلقة	٦٠
دولة ءال يعرب وائمتها وفتوحاتهم العظيمة	٦١
غارة العجم وسقوط آل يعرب	٦٢
دولة آل سعيد ومثالها	٦٣
تعليق الشيخ ابي اسحاق ابراهيم اطفيش	٦٥
تعليق الامير شكيب ارسلان	٦٧
كلمة المؤلف تحت قوله قلت	٧٠
اهم ما بين الاباضية والمذاهب الاربعة من المسائل الخلافية	٧١
خاتمة فيما يفعله امام الاباضية مع من تحته من المخالفين	٧٨